



ماذا حدث
لثورة بعد
مرور خمس
سنوات على
اندلاعها؟
ص: 11

معركة الأساتذة
المتدربين وأهم
الدروس
ص: 05

قمع مسيرة
الأساتذة
المتدربين:
الجريمة
والعقاب
ص: 04

معركة الأساتذة
المتدربين
تكوين من نوع
خاص
ص: 03

كل الدعم
لاحتجاجات
الأساتذة
المتدربين
ص: 02

2016: عالم على حافة الهاوية

ص: 07

واخترنا هذا الاسم كذلك لأنه شعار يكثف كل المهام التاريخية الملقاة على عاتقنا نحن الماركسيين في هذه المرحلة، مرحلة الإفلاس التام للرأسمالية على الصعيد المحلي والعالمي، وضرورة الاشتراكية البديل الوحيد الممكن للهزيمة التي تجر الرأسمالية إليها البشرية جمعاء.

إن المرحلة التي نعيشها، محليا وجهويا وعلى الصعيد العالمي، مرحلة ثورية بكل المقاييس، والثورة الاشتراكية هي الحل الوحيد لكل المآسي والحروب ومظاهر الهزيمة التي تتسبب فيها الرأسمالية في كل مكان. لذلك من الضروري أن نعلن الثورة شعارا لنا واسما لجريدتنا وهدفا لنشاطنا التنظيمي والتنقيفي والنضالي.

أيها العمال، أيها الشباب الثوري، إن كنتم تتفقون معنا في أفكارنا وبرنامجنا ومشروعنا التحقوا بنا في بناء القيادة الثورية والنضال من أجل الاشتراكية، واقرأوا جريدتنا ووزعوها وراسلونا بمقالاتكم وانتقاداتكم وبتقارير عن نضالاتكم وظروف عملكم وحياتكم.

سياسات التقشف ضد العمال والفلاحين والشباب الكادح.

لهذا فإن الأحزاب الشيوعية اليوم، مثل الشيوعي العراقي أو المصري أو الفرنسي أو غيرهم، لا تثير عند العمال والشباب الثوري الباحث عن بديل ماركسي ثوري سوى الاشمزاز والاحتقار، وبما أن هؤلاء العمال والشباب هم رفاقنا الذين نتوجه إليهم بخطابنا وتحليلنا وبرنامجنا، فإنه من واجبنا أن نحرص على أن نظهر أمامهم بوضوح، ونحرص على عدم اختلاط رايتنا برايات تلك الجثث المحنطة.

ليس هناك من عار يمكن لأي تيار ثوري أن يجلبه لنفسه أكثر من اختلاط رايته مع رايات "الأحزاب الشيوعية" الموجودة الآن في منطقتنا وفي الشرق الأوسط والعالم. لذلك قررنا أن نعطي لجريدتنا اسما جديدا وراية نقية، ولذا اخترنا لها اسم: **الثورة**.

إن اسم جريدتنا شعار واضح وجريء، لا ليس فيه ولا يساوم: الثورة ضد الرأسمالية، مصدر كل المظالم والاستغلال والقهر والحروب والمآسي التي نشهدها في كل مكان.

الإفئنامية:

"الثورة" هو الاسم الجديد الذي اخترناه لجريدتنا، نحن رابطة العمل الشيوعي، لنخاطبكم رفاقنا العمال وعموم الشباب الثوري والفقراء ونقدم لكم النظرية الماركسية وتحليل الأوضاع التي نعيشها في وقتنا الحالي، انطلاقا من موقف ماركسي أممي ثوري، والمنظورات الثورية لتغيير هذه الأوضاع وبناء الاشتراكية.

جريدة الثورة هي استمرارية من حيث المضمون لتجربة جريدة الشيوعي، لكننا قررنا أن نغير اسم جريدتنا من "الشيوعي" إلى "الثورة" حرصا على الوضوح الثوري.

لقد لطخت الستالينية اسم الشيوعية بالعار، فالأحزاب "الشيوعية" في كل مكان صارت مرادفا للإصلاحية والخيانة. وبعد أن صفقت طويلا لجرائم الأنظمة الستالينية في كل مكان، وشاركت في خيانة الثورات العمالية، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، ها هي الآن تحولت لخدمة الرأسمالية والاستعمار والمشاركة في الحكومات البرجوازية وتطبيق

كل الدعم لاحتجاجات الأساتذة المتدربين بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين

تعيش أغلب مراكز التكوين التابعة لوزارة التربية الوطنية المغربية، على وقع احتجاجات مستمرة منذ بداية الموسم الدراسي، فإلى حدود اللحظة ما زال الأساتذة المتدربون يقاطعون الدراسة بأغلب مراكز التكوين، وخرج آلاف الأساتذة المتدربين للاحتجاج في تظاهرات غير مسبوق، شبيهة بما نظمه الأطباء المتدربين قبل أسابيع، ومن المتوقع أن تنظم اليوم الثلاثاء 24 نونبر 2015 مسيرات محلية بعدة مدن مغربية كانت قد دعت لتنظيمها التنسيقية الوطنية للأساتذة المتدربين يوم أمس.

رهانات المرحلة:

يواصل الأساتذة المتدربون احتجاجاتهم وقد أعلنوا صرخة مدوية: "جميعا من أجل إسقاط المرسومين"، في كل يوم نسمع التحاق مراكز جديدة برفاقهم للنضال ضد المرسومين في أشكال احتجاجية بطولية متفرقة في المكان وموحدة بالزمان بدءا من مسيرة جهوية موحدة إلى الأكاديميات شارك فيها حوالي 43 مركزا بنسب مشاركة وصلت إلى 98%، مرورا بالوقفة أمام وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني بباب الرواح بالرباط والمسيرة الوطنية في اتجاه قبة البرلمان يوم 2015/11/12 والتي عرفت مشاركة حوالي 8000 أستاذ متدرب من مختلف مراكز التكوين بالمغرب.

هذه الاحتجاجات تواجه بلامبالاة مطلقة في وقت يصل فيه ويجول أعضاء المجلس الأعلى للتعليم في شرق الأرض ومغربها للترويج لما سموه "الرؤية الإستراتيجية لإصلاح التعليم 2030/2015" مستقيدين من أموال دافعي الضرائب التي تغدقها عليهم الطبقة الحاكمة لشراء ذمهم.

من خلال الأشكال التي يخوضها الأساتذة المتدربون يتبين أن رهاناتهم لا تتجاوز المطالبة بإسقاط المرسومين 2-15-588 والقاضي بفصل التكوين عن التوظيف و2-15-589 والقاضي بتقليص المنحة إلى النصف لكن المعركة في عمقها دفاع عن المدرسة والوظيفة العموميتين وهو ما يتطلب العمل على توسيع جبهة الصراع.

تشكل هذه الاحتجاجات منعطفا تاريخيا في مواجهة الهجوم الذي تخوضه الطبقة السائدة ضد المدرسة العمومية، فالأساتذة المتدربون أصبحوا يستشعرون جسامة المسؤولية الملقاة على عاتقهم سواء في الدفاع عن ذواتهم وكرامتهم وحقوقهم العادلة والمشروعة أو الدفاع عن حقوق أجيال قادمة من أبناء العمال والفلاحين الفقراء.

نعلم، نحن الماركسيين، تضامنا المبدئي واللامشروط مع نضالات الأساتذة المتدربين من أجل إسقاط المرسومين المشؤمين، ومن أجل حقهم في ظروف دراسة جيدة ومنصب شغل قار، وندين الممارسات القمعية التي تشنها الدولة ضد الأشكال النضالية التي يخوضونها.

كما ندعو النقابات العمالية إلى تحمل مسؤوليتها في تبني هذه المعركة والدفاع عنها وخوض أشكال نضالية كفيلة بتمكينها من الانتصار. إن انتصار هذه المعركة انتصار لعموم الشغيلة وخطوة في اتجاه الدفاع عن المدرسة العمومية والحق في منصب شغل قار.

أستاذة متدربين، الثلاثاء: 24 نونبر 2015

10000 أستاذ متدرب سيتم توظيف 7000 أستاذ فقط مما يعني رمي 3000 إلى الشارع كأساتذة معطلين.

يعتبر هذان المرسومان بالون اختبار من طرف الطبقة السائدة لقياس رد فعل رجال ونساء التعليم وباقي الإجراء من الهجوم على احد القطاعات الحيوية وذلك لتعبيد الطريق لمخططات أخرى كالتشغيل بالعقدة وضرب الحق في الترقية أو ما يسمونه بـ "ربط الترقية بالمرودية" وتقويت بعض المنشآت التابعة لوزارة التربية الوطنية للقطاع الخاص وتسريع خوصصة قطاع التعليم (انظر تصريح بنكيران). وبالتزامن مع إصدار هذين المرسومين تعمل الحكومة على إقتال كاهل رجال ونساء التعليم بمزيد من المسؤوليات والمهام مع وضع عراقيل لمنع استفادتهم من حقوقهم النقابية (الإضراب)، والغاية هي تدمير المدرسة المغربية العمومية وتقويتها لصالح التعليم الخصوصي وحرمان أبناء الشعب من حقهم في تعليم مجاني.

تبريرات الحكومة:

تحاول الحكومة بكل ما أوتيت من قوة فرض الأمر الواقع على الأساتذة المتدربين، وهو ما يعكسه تمرير المرسومين في بداية العطلة الصيفية تقاديا للرفض الذي يمكن أن يصدر عن المتضررين، الذي هم في واقع الأمر ضحايا سياسات وخيارات لا شعبية شرعت الحكومات المتعاقبة في تنفيذها منذ عقود بغاية الإجهاد على القطاعات الحيوية وعلى المكتسبات التاريخية للشعب المغربي.

بل إن بنكيران خادم القصر الوفي والتلميذ النجيب لصندوق النقد الدولي عبر بالحرف عن كون الوقت قد حان لكي "ترفع الدولة يدها عن مجموعة من القطاعات الخدمية كالصحة والتعليم.. في وقت يدافع عن تقديم تسهيلات وامتيازات للقطاع الخاص من أجل النهوض بجودة التربية والتكوين ولعل آخرها منح العديد من الثانويات العمومية للخواص وتمكينه من يد عاملة مؤهلة ورخيصة وهو ما يرمج له من خلال فصل التوظيف عن التكوين.

تقول الحكومة المدافعة عن مصالح الطبقة السائدة إن التعليم "قطاع غير منتج" ويشكل "عبئا" على خزينة الدولة وإن الوضعية الكارثية التي وصل إليها التعليم العمومي تفسر بعدم تحمل الأسرة التعليمية "أساتذة ومفتشون وإداريون لمسؤولياتهم" وكون الأساتذة لا يتوفرون على تكوينات جيدة وهو السبب في غياب المرودية والجودة.

السياق:

صادق المجلس الحكومي، بتاريخ 23 يوليوز 2015، أي قبيل الإعلان عن مباراة الولوج للمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين، على المرسوم رقم: 2-15-558 بتغيير المرسوم رقم: 2-15-854، الصادر في 10 فبراير 2003، في شأن النظام الأساسي الخاص بموظفي وزارة التربية الوطنية، والقاضي بفصل التوظيف عن التكوين. حيث سيحرم خريجي هذه المراكز من التوظيف بعد نجاحهم في امتحانات التكوين، ليحصلوا فقط على شهادة "التأهيل التربوي". كما صادق المجلس على المرسوم رقم: 2-15-589 بتغيير وتنظيم المرسوم رقم 2-11-672 الصادر في 23 دجنبر 2011 في شأن إحداث وتنظيم المراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين والقاضي بتقليص المنحة الشهرية للمتدربين من 2450 كراتب أساسي إلى 1200 منحة شهرية خلال سنة التكوين.

احتجاجات الأساتذة المتدربين:

ضد هذين المرسومين انخرط الأساتذة المتدربون بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين منذ 22 أكتوبر 2015 في مقاطعات شاملة للدروس النظرية والتطبيقية وصلت نسبة المشاركة إلى 100% في بعض المراكز (كطنجة، مكناس، تطوان، القنيطرة، العيون، أكادير، بني ملال، وجدة، خنيفرة، الجديدة، أسفي، تازة، الناظور.. الخ) مصحوبة بأشكال تنظيمية للنقاش (حلقيات، جموعات عامة، لجن أقسام... الخ) أكدت جلها على ضرورة التنسيق الوطني والسدح بمعركة وطنية لمواجهة المرسومين، هذا ما ساهم في خلق آليات للتنسيق منبثقة من القواعد وتحت إشرافها.

يأتي هذان المرسومان في ظل خصائص مهول في الأطر الإدارية والتربوية التي يقدر المنتبعون نسبتها بـ 20 ألف إطار تربوي، وفي ظل اكتظاظ مهول في كل الأقسام والمستويات والأسلاك (15 ألف مدرسة تعاني من الاكتظاظ حسب بلمختار)، كما يعرف الموسم الدراسي الحالي إحالة حوالي 13 ألف أستاذ على التقاعد، مما ينعكس سلبا على التحصيل لدى التلاميذ وتحقيق المرودية من طرف الأستاذ.

ويرى الأساتذة المتدربون أنه "بعد قضائهم لسنة كاملة من التكوين بالمراكز الجهوية لمهن التربية والتكوين، سيجدون أنفسهم أمام مباراة جديدة للتوظيف يشترط فيها كوطا لعدد المناصب طبقا لقانون المالية، وهكذا بعد أن كونت المراكز

معركة الأساتذة المتدربين تكوين من نوع خاص

البیضاء - أكادير ومدن حساسة مثل مراكش ورسازات.. الخ.

ليست هذه دروس قيمة أفضل ألف مرة من كل تلك النظريات التافهة والكلام الفارغ الذي كان الأساتذة المتدربون سيسمعونه في مراكز التكوين حول مختلف بيداغوجيات تمرير نفس الايدولوجيا ونفس الفكر بطرق مختلفة، لتصنع منهم وسائل للقمع الايديولوجي وإعادة إنتاج نفس العلاقات التي تضطهدهم وتسحقهم، وتجعل منهم مجرد قناة "قادوس" لتمرير فضلات مؤخرات البورجوازيين من القصور إلى البحر؟

هل هناك من درس أكثر قيمة من الدروس التي تعلمناها في المسيرات العمالية وملاحم التضامن الشعبي، حول أن العمال والشباب العاطل والفلاحين والفقراء، أي كل هؤلاء الذين تحاول الطبقة السائدة فصلنا عنهم واحتقارهم والتعالي عليهم، هم الحليف الوحيد لنا في ساحة النضال؟

هل كانت مراكز التكوين تلك ستعلمنا كيف نناضل وكيف ندافع عن حقوقنا وأن وحدتنا هي الضمانة الوحيدة لانتصارنا؟

لقد تعلم الأساتذة المتدربون في أشهر النضال هذه أن الطبقة السائدة تحقرهم ولا تقيم وزنا لمصيرهم ولا مستقبلهم ولا طموحاتهم، فهي مستعدة للنضحية بهم من أجل الربح. بل لا تعطي قيمة حتى لأجسادهم ودمائهم وكرامتهم، إذ أنها مستعدة لسفكها في الشوارع كل مرة حاولوا أن يحتجوا أو يعبروا عن معارضتهم لسياساتها. لا حقوق لمن يقف في وجه مصلحة الربح، هذا هو الشعار الرأسمالي.

والدرس الأهم الذي يجب علينا تعلمه هو أن النظام الرأسمالي في حد ذاته هو سبب المشكل. ليس هذا المرسوم أو ذلك، وليست هذه الحكومة أو تلك سوى تعبير عن هذا الداء العميق الذي هو النظام الرأسمالي. إنه نظام مريض ومفلس بشكل كامل، ولكي يستمر في البقاء عليه أن يسحقنا ويستغلنا ويحكم علينا نحن الشباب بالبطالة أو القبول بالعمل الهش وظروف العيش البائسة. لماذا علينا أن نقبل بأن يبقى حفنة من كبار المالكين لوسائل الإنتاج، الطفيليين الذين لا يعملون ولا ينتجون شيئا، محتكرين للثروة والسلطة بينما نحن الأغلبية الساحقة نقاسي كل هذه الظروف البائسة.

إنها حقا دروس قيمة، ما كانت 100 سنة من التكوين في مراكز غسل الأدمغة تلك لتقدم ولو سطرا واحدا منها. وعندما تنتصر المعركة وسيعود الأساتذة المتدربون إلى الأقسام ويصيرون أساتذة وأستاذات، سيعودون وهم قد تعلموا الكثير. عندها سيكون عليهم أن ينقلوا هذه الدروس إلى الجيل الجديد من الشباب، إلى تلاميذهم. وبهذا لن تكون دروس المعركة قد ضاعت.

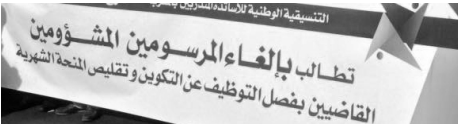
رابطة العمل الشيوعي
الأربعاء: 30 دجنبر 2015

كان يقوم بها الأساتذة المتدربين في اتجاه إحدى الساحات مما خلف إصابات متفاوتة الخطورة ومطاردات متفرقة. نفس الممارسات سجلت بمدينة مراكش بعد محاصرة مسيرة الأساتذة المتدربين لساعات "بباب دكالة" ومنعها من التحرك وإيقاف أحد الأساتذة قبل أن يتم الإفراج عنه لاحقا.

حتى بالعاصمة الاقتصادية نال الأساتذة المتدربون نصيبهم من القمع والحصار والمنع من تجسيد المسيرة نحو إحدى الساحات واعتقال أساتدين وصحافي. فرد الأساتذة بالاعتصام حتى إطلاق سراح الأساتدين.

تكوين من نوع خاص

قد يبدو للوهلة الأولى أن الأساتذة المتدربين لم يحصلوا على أي تكوين قد يفيدهم في ممارسة مهنتهم، وأن امتناعهم عن العودة إلى صفوف الدراسة قد فوت عليهم تعلم طرق تدريس مفيدة ونظريات ضرورية لمزاولة المهنة، الخ. لكن الواقع شيء آخر مختلف تماما. لقد تلقوا خلال هذه الأشهر الأخيرة أفضل تكوين في حياتهم، تكوين سيساعدهم ليس فقط على مزاولة مهنة التدريس بشكل جيد بل سيفيدهم في حياتهم كلها.



ماذا كانوا سيستفيدون لولا انخراطهم في هذه المعركة؟ كانوا فقط سيحضرون جلسات لغسل الأدمغة حول أن الفكر السائد، أي الفكر البورجوازي، فكر جيد يتوافق مع العقل والتاريخ والعلم وأن كل ما نحتاجه هو إتقان طرق إيصاله إلى المتعلمين، وطرق "التعامل" (قمع) مع كل امتناع أو عجز عن فهمه واستبطانه من طرفهم.

وفي المقابل قدمت لنا المعركة فرصة جيدة لفهم طبيعة النظام الدكتاتوري القائم، الذي يواجه كل احتجاج بالقمع الهمجى. لقد تعلمنا دروسا قيمة في طبيعة الدولة، باعتبارها مجرد أداة قمعية في يد الطبقة السائدة لخدمة مصالح كبار البورجوازيين المحليين والدوليين.

كما أنها قدمت لنا درسا قيما في أن ما تخشاه الطبقة السائدة هو وحدتنا وصمودنا، وأن أسوء كوابيسها هي اتحادنا بالجماهير الكادحة المفقرة المستغلة الغاضبة في الشوارع والأسواق والأحياء العمالية. لقد سلطت كل هذا القمع لإيقاف هذه الدينامية التي يحاول الأساتذة المتدربون من خلالها مخاطبة أبناء الشعب والتواصل مع الفئات المقهورة لشرح طبيعة المعركة لهم.

إن ما يعطي النظام قدرته على قمع الحركات الاحتجاجية هو نجاحه في عزلها عن بعضها البعض، لهذا نجده يحاول ما أمكن قمع مثل هذه الخطوات وعزل أي فعل نضالي عن الحاضن الشعبي خصوصا في بؤر عمالية مثل طنجة -

يخوض الأساتذة المتدربون منذ نهاية أكتوبر الماضي معركة طويلة النفس، بأشكال نضالية متعددة، ضد المخططات الحكومية التي تضرب في الصميم الحق في التعليم العمومي والحق في الشغل، من بينها المرسومين 2.15.588 و2.15.589 والقاضيين على التوالي بفصل التكوين عن التوظيف وتحويل الراتب الأساسي 2450 لمنحة مقزمة تساوي 1200 درهم.

تنوعت الأشكال النضالية بين معارك وطنية (إنزال وطنية للرباط) وأخرى محلية متفرقة في المكان وموحدة في الزمان (مسيرات - وقفات - اعتصامات.. الخ) كان آخرها تنفيذ التنسيقيات المحلية، على المستوى الوطني، لخلاصات البرنامج النضالي الوطني التي تنص على القيام بمسيرات محلية إلى الساحات العمومية يوم 2015/12/30.

بمجرد انطلاق الأساتذة لتنفيذ هذه الخطوة تحركت آلة القمع الجهنمية لتضرب وترفس وتعقل. ففي مركز أسفي تعرض الأساتذة المتدربون لتدخل همجي أسفر عن إصابات متفاوتة الخطورة. وتعرض مناضلو/ات مركز قلعة السراغنة لتدخل مماثل أسفر عن العديد من الإصابات ومحاولات اعتقال المنسق المحلي للفرع

نفس الشيء عرفته مجموعة من المدن الأخرى حيث تم بعد الزوال محاصرة مركز تطوان بترسانة قمعية كبيرة ومنع الأساتذة المتدربين من الخروج بمسيرة نحو "ساحة مولاي المهدي" وإتلاف لافتاتهم وملصقاتهم ومصادرة مكبرات الصوت. لكن هذا لم ينل من إصرار الأساتذة الذين أصروا على تجسيد احتجاجهم وتمكنوا من الخروج بشكل فردي والالتحاق بالساحة العمومية تحت حصار رهيب من طرف قوى القمع السري والعلمي.

مركز طنجة هو الآخر لم يسلم من العنف والإنزال القمعي الكبير ومنع الأساتذة المتدربين من الخروج بمسيرة نحو "ساحة الأمم" وبعد التحاق الأساتذة بالساحة العمومية فرادى تم التدخل بقوة في حقهم تحت مرأى ومسمع أبناء الشعب. أسفر التدخل عن سقوط 15 جريح تم نقلهم إلى قسم المستعجلات واعتقال 8 أساتذة متدربين وتفريق الوقفة بالقوة ومطاردة آخرين بالأزقة والشوارع. رد الأساتذة على هذا القمع بالمزيد من الصمود حيث حولوا وقتهم إلى اعتصام "بسور المعجازين" حيث نددوا بالقمع وطالبوا بإطلاق المعتقلين تحت حصار قمعي رهيب

بمدينة تازة كذلك تدخلت قوى القمع باستعمال القوة لتفريق المسيرة التي نظمها الأساتذة المتدربون من مقر نيابة التعليم بالمدينة في اتجاه "ساحة الاستقلال" التي احتضنت مهرجانا خطابيا بعد التحاقهم بشكل فردي.

وفي مدينة أكادير كذلك استعملت قوى القمع القوة المفرطة من أجل تفريق مسيرة احتجاجية

قمع مسيرة الأساتذة المتدربين: الجريمة والعقاب

نفس ذلك النظام الدكتاتوري الذي كسر عظام الأساتذة، يوم الخميس 07 يناير، وأسأل دمانهم في الشوارع، هو الذي تراجع، يوم الأحد 10 يناير، عن الظهور أمام أعين الجماهير الغاضبة أمام البرلمان. وذلك ليس لأنه تناول جرعة مفاجئة من الديمقراطية، بل فقط لأنه أصيب بالرعب من مغبة القيام بأي استفزاز للمحتجين قد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه من وجهة نظره.

واستمرارا للتعبير عن الغضب ضد الدكتاتورية والتضامن الشعبي مع الأساتذة شهدت مدينة بني ملال، يوم الإثنين 11 يناير، وقفة احتجاجية حاشدة بساحة المسيرة. وهي الوقفة التي تحولت إلى مسيرة شاركت فيها أعداد غفيرة من الجماهير، لم تشهد المدينة مثلها منذ تظاهرات 20 فبراير، ورفعت خلالها شعارات قوية لم تكتف بالتنديد بما تعرض له الأساتذة والمطالبة بإسقاط المرسومين، بل انتقلت إلى التأكيد على حق أبناء الشعب في **الاستفادة** من تعليم جيد ومجاني، إلى جانب مطالب أخرى اقتصادية وسياسية.

ومرة أخرى اكتفت قوى القمع بالمشاهدة وحرصت على عدم التدخل أو القيام بأي استفزاز تعرف جيدا انه سيؤدي إلى انفجار الوضع القابل للاشتعال بسبب تراكم البطالة والفقر ومشاعر القهر والغضب.

من الذي انتصر ومن الذي انهزم الآن؟ إن الجواب عن هذا السؤال واضح للغاية. لقد انتقل الرعب إلى المعسكر الآخر. ورغم كل ما تحقق حتى الآن، فإن أسوأ أيام الحاكمين هي التي لم تأت بعد.

شعارات لحواصلة الحركة

صرح بنكيران مؤخرا أنه لن يتراجع عن المرسومين حتى ولو أدى ذلك إلى إسقاط حكومته. نحن أيضا لسنا مستعدين لضرب حقنا في التشغيل وحق كل هؤلاء الكادحين الذين تعاطفوا معنا ووقفوا إلى جانبنا في محنتنا وعبروا عن تضامنهم معنا وحبهم لنا وغضبهم ضد ما تعرضنا له. فلتسقط الحكومة إذن! فليكن شعارنا هو إسقاط الحكومة وحل البرلمان الذي انبثقت منه هذه الحكومة!

ثم إن جريمة الاعتداء على المتظاهرين لا يجب أن تمر بدون عقاب. إن الدماء التي سالت ليست بدون ثمن. يجب أن تتم محاسبة كل المتسببين في المساس الخطير بالسلامة البدنية والنفسية للأساتذة المتدربين. لا بد من محاكمة كل من أعطى الأوامر ومن نفذ.

من هو العدو الحقيقي؟

من الواضح أن حكومة الإسلاميين قد فقدت شعبيتها تماما. وبنكيران، الذي كان قبل أربع سنوات فقط يرقص منتشيا بتحقيقه لفوز ...

التتمة على الصفحة: 10

ردود الفعل

كان ما حدث يوم الخميس جريمة بكل المقاييس. لكن الأمر لم يتوقف عند ذلك الحد، بل جاء رد الحكومة ليزيد في صب الملح على الجراح. كانت تصريحات المسؤولين بعد المجزرة في منتهى الوقاحة والاستفزاز. فقد عبر رئيس الحكومة بنكيران عن تضامنه مع قوات البوليس، "التي كانت تؤدي مهمتها"، ودعا شبيبة حزبه إلى عدم التضامن مع الأساتذة المعنفين. أما وزارة الداخلية فقد أنكرت وجود أي قمع ونفت وجود أية إصابات بين الأساتذة وقالت إن الفيديوها مبركة، وإن الأساتذة إنما كانوا يتظاهرون بالاغماء وما حدث لبعضهم من "جروح طفيفة" كان فقط بسبب التدافع!!!

إنه منطق النظام الدكتاتوري القائم بالمغرب، نظام لا يقيم وزنا لحرمة أجساد المواطنين ولا لحقوقهم ولا لكرامتهم. إنه منطق الطغيان والاستبداد والهمجية، إسالة دماء العزل في الشوارع، لا لشيء سوى لأنهم تظاهروا سلميا، ثم تحويل معاناتهم وجراحهم إلى مادة للسخرية بكل احتقار ووقاحة ونداءة.

أما الرد الشعبي فقد كان موجة من السخط ضد وحشية قوات البوليس، وتضامنا واسعا عبرت عنه العديد من الفئات: أساتذة ممارسون وعمال وتلاميذ وباعة متجولون، ومناضلون نقابيون ومنتقون ديمقراطيون جذريون وغيرهم.

كان الهدف من وراء ذلك القمع الهمجي، بتلك الطريقة وتلك الحدة، إثارة الخوف في نفوس الأساتذة المتدربين وتحطيم معنوياتهم ودفعهم إلى التوقف عن النضال، إضافة إلى توجيه رسالة دموية إلى كل فئات الشعب المغربي الأخرى من عمال وطلاب، وغيرهم، بأن مصيرهم سيكون مماثلا إن هم تجرؤوا على المطالبة بحقوقهم أو التصدي للسياسات القمعية ومختلف الهجومات التي تشنها الطبقة الحاكمة ودولتها.

لكن العكس تماما هو الذي حصل. إذ أن ذلك القمع، وبالرغم من حدته، لم ينل مطلقا من معنويات الأساتذة المتدربين وكفاحيتهم، كما لم يؤد سوى إلى اتساع دائرة التضامن الشعبي معهم، وإشاعة روح التحدي.

الرعب ينتقل إلى المعسكر الآخر

إن النظام الآن في ورطة، لأن القمع إذا لم يؤد إلى النتيجة المرجوة منه، أي إرهاب الجماهير، فإن الرعب يغير معسكره وينتقل إلى الجهة المقابلة: جهة الطبقة السائدة ودولتها.

وبالفعل ومباشرة بعد المجزرة، تمت الدعوة إلى تنظيم وقفة احتجاجية حاشدة أمام البرلمان، يوم الأحد 10 يناير، للتنديد بالقمع والمطالبة بالاستجابة لمطالب الأساتذة بإلغاء المرسومين. وهي الوقفة التي لاقت نجاحا باهرا، ووقفت الدولة عاجزة عن القيام بأي رد فعل أمامها.

يوم الخميس 07 يناير، خرج الأساتذة المتدربون بالمغرب في مسيرات احتجاجية جهوية موحدة في الزمن، تنفيذا لقرار التنسيق الوطنية للأساتذة المتدربين بالمغرب، للمطالبة بإسقاط المرسومين: المرسوم 588/15/2 الذي ينص على فصل التكوين عن التوظيف. والرسوم 589/15/2 القاضي بتخفيض الراتب الأساسي للأساتذة المتدربين في المراكز من 2450 إلى 1200 درهم.

الجريمة

كانت المسيرات سلمية وكان الأساتذة، عزلا إلا من حناجرهم وإصرارهم، يمارسون، في منتهى الانضباط، حقهم في التعبير عن مطلبهم المشروع؛ لكن النظام الدكتاتوري كان له رأي آخر، حيث أطلق قوات القمع بأوامر واضحة تنص على الضرب بوحشية وبدون تمييز، مع استهداف الرأس والوجه على وجه الخصوص، إمعانا في الإرهاب والتنكيل.

خلف الهجوم الوحشي حصيلة ثقيلة جدا، عشرات الجرحى، بعضهم مصابون بجروح خطيرة وما زالوا لحد اللحظة يخضعون للعلاج. وحسب تقرير نشرته الجمعية المغربية لحقوق الإنسان عن ذلك الهجوم، كانت الحصيلة ما يلي:

1- مدينة إنزكان: قمع أمام المركز أدى إلى حوالي 100 إصابة، 50 حالة تم نقلها إلى المستشفى.

- الأساتذة لمياء: كسر في الكتف، كسر في الفحص الصدري، وكسر في الوجه يستدعي عملية تجميلية.

- الأستاذ الحمار: كسر في العمود الفقري يستدعي عملية جراحية، فقدان جزئي للبصر.

- أستاذة حامل أصيبت بنزيف.

- إصابات على مستوى الرأس (7 إلى 10 غرز)

- إصابات في الأكتاف والأرجل

- إغماءات

2 - مدينة مراكش: 20 حالة

- حالة شلل نصفي (العناية المركزة)

- كسر على مستوى الرجل

- إغماءات

3 - مدينة طنجة: 8 حالات خطيرة

- أستاذة: التواء في الرجل و اختناقات رئوية.

- أستاذ: تشقق في الرجل

- أستاذة: تشقق في الذراع

- إصابات قريبة من العمود الفقري

- إغماءات

4- مدينة الدار البيضاء: 40 حالة

- كسر على مستوى الذراع

- كسر على مستوى الرجل

هذا إضافة إلى الاعتداء على الأساتذة، من طرف قوات البوليس، بالسب والشتم والإهانات الحادة بالكرامة، على حد تعبير بيان الجمعية الحقوقية.

معركة الأساتذة المتدربين وأهم الدروس



كيف تبادر إلى ذهن الحاكمين أنهم قادرين على منع شعب من التنقل؟ لا أحد يمتلك الجواب عن هذا السؤال سوى هؤلاء "الخبراء الاستراتيجيين" و"المفكرين الكبار" الساهرين على إنتاج القرار في "المملكة السعيدة". لا شك في أن هذا الأسلوب المضحك المعبر عن أقصى درجات اليأس والعجز سوف يستمر طويلا مادة للتندر والنكتة بين أوساط المناضلين والجمهور.

تكتيك جديد

ما أروع هذا النجاح الجديد الذي حققه الأساتذة المتدربون والحركة الجماهيرية عموما ضد الحكومة والدولة. لقد تمكنوا من الخروج بكثافة وتحدا التهديد بالقمع وفرضوا الشلل على أجهزة الدولة.

لكن كيس الساحر لا يفرغ بسهولة، والحكومة ما تزال تمتلك في جعبتها الكثير من الألاعيب. فبعد أن فشل تكتيك العصي في تحقيق النتائج المرجوة، ها هي الحكومة تلجأ إلى تكتيك الجزرة. فقد خرج نفس الوزير السيء الذكر، بعد نجاح المسيرة رغم أنفه، في تصريح للموقع الإلكتروني لحزبه، قال فيه إن باب «الحوار مع الطلبة الأساتذة سيظل مفتوحا». يا سلام على روح الحوار!

وأشار ذات الموقع الإلكتروني أنه «من المرتقب أن تواصل الحكومة جلسات الحوار مع الأساتذة المتدربين إلى حين طي صفحة الخلاف وعودة الأساتذة المتدربين إلى مقاعد الدراسة».

مسيرة يوم الأحد

يوم الأحد 24 يناير 2016، نظم الأساتذة المتدربون مسيرة احتجاجية أخرى، هي الثالثة من نوعها، للمطالبة بإسقاط المرسومين سيئي الذكر والتنديد بالتدخل القمعي الهمجي الذي تعرضوا له يوم الخميس 07 يناير الماضي.

بمجرد الإعلان عن المسيرة خرجت الحكومة بتصريح عنصري على لسان وزير الاقتصاد والمالية المكلف بالميزانية، والقيادي في حزب العدالة والتنمية الحاكم، إدريس الأزمي الإدريسي، قالت فيه إنها «لن تسمح بتنظيم أي مسيرة غير مصرح بها مسبقا وفق القوانين الجاري بها العمل، وأنها ستتخذ جميع الإجراءات اللازمة لضمان احترام القانون».

كان هذا التصريح باتخاذ "جميع الإجراءات اللازمة" تهديدا واضحا بأن الحكومة ستشن حملة إرهاب جديدة ضد الأساتذة المتدربين، قد تفوق تلك التي شنتها ضدهم يوم الخميس الماضي.

لكن هذا التهديد لم يؤد إلى ما كانت الحكومة تطمح إليه، بل على العكس تماما، لقد أدى إلى المزيد من النفاق الأساتذة على مطالبهم وإصرارهم على تجسيد قرار المسيرة، ودفع بعشرات الآلاف من بناء الشعب إلى الالتحاق بهم.

وكما كان متوقعا لاقت هذه المسيرة نجاحا باهرا حيث شارك فيها، إلى جانب الأساتذة المتدربين، آلاف العمال والأساتذة الممارسين والطلاب والمناضلين الحقوقيين والنقابيين، أي كل من في المجتمع من حي وشريف. فاقت المشاركة في المسيرة كل التوقعات، فحسب التنسيقية الوطنية للأساتذة المتدربين بلغ عدد المشاركين في المسيرة ما يزيد عن 40 ألف مشارك!

كان المزاج السائد كفاحيا جدا وكانت الشعارات قوية، لم تقتصر على رفض المرسومين، بل تجاوزتها إلى شعارات اقتصادية وسياسية أخرى من قبيل: "هي كلمة واحدة.. هذه الدولة فاسدة"، بالإضافة لشعاري الثورة التونسية والمصرية وحركة عشرين فبراير: "عاش الشعب، وحرية، كرامة، عدالة اجتماعية".

نجاح مسيرة يوم الأحد الماضي زاد من رعب الحاكمين، الذين وقفوا مشلولين أمام الطوفان الجماهيري الذي ظهر شوارع الرباط ذلك اليوم. فلم يجدوا للانتقام سوى ذلك التقرير المضحك الذي قدمته القناة الثانية حول أن المسيرة «مرت في أجواء هادئة وشارك فيها بضعة مئات».

ولحد اللحظة لم يخرج لا بنكيران ولا الأزمي ولا وزير الداخلية ليشرحوا لنا أسباب "سماحهم" بتنظيم تلك المسيرة «غير المصرح بها مسبقا وفق القوانين الجاري بها العمل»، وعدم اتخاذهم «لجميع الإجراءات اللازمة لضمان احترام

القانون»، في حق من دعوا إليها ومن شاركوا فيها؟

النضال الأممي

لاقت معركة الأساتذة المتدربين تعاطفا قويا على الصعيد الوطني، حيث عبرت كل فئات الشعب المغربي عن مساندتها لمطالبهم ليس بالأقوال فقط بل وكذلك بالمشاركة الفعلية في نضالاتهم. لكن هذا ليس كل شيء، فقد لاقت كذلك تعاطفا واهتماما أمميا مهما.

لقد أعلن التيار الماركسي الأممي عن مساندته لنضالات الأساتذة المتدربين، ودعا كل عمال العالم والمناضلين النقابيين والثوريين إلى التعبير عن دعمهم للمعركة وإدانتهم للقمع ضد المسيرات السلمية التي نظموها.

والتيار الماركسي الأممي هو منظمة ماركسية ثورية أممية، لديها فروع ومجموعات في عشرات البلدان في جميع قارات العالم. هدفها توحيد نضالات العمال والشعوب والشباب الثوري في كل أنحاء العالم من أجل النضال ضد الرأسمالية العالمية وبناء الاشتراكية في العالم بأسره.

إن التيار الماركسي الأممي هو المنظمة الأممية الوحيدة التي عبرت عن تضامنها مع الأساتذة المتدربين، كما سبق لها أن عبرت عن تضامنها مع العديد من النضالات العمالية والشبابية في المغرب.

وبالفعل لقد نشر التيار الماركسي الأممي مقالا عن المسيرات التي تعرضت للقمع يوم الخميس 07 يناير، على موقعه الرسمي www.marxist.com. وقد لاقت الدعوة إلى التضامن نجاحا كبيرا حيث نظمت العديد من فروع التنظيم الأممي في الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والسويد والبرازيل وغيرها، الخ أنشطة للتعريف بالمعركة ومطالب الأساتذة وما يتعرضون له من قمع ومضايقات، وبعثوا رسائل التضامن إلى المحتجين والمقموعين.

المهزلة

لقد وجد النظام نفسه في وضع مثير للثناء. وقد دفعه الرعب واليأس إلى اتباع تكتيكات مثيرة للسخرية، حيث لجأ إلى أسلوب منع الأساتذة والمتعاطفين معهم من السفر في الحافلات والقطارات. بل ومنعهم حتى من الدخول إلى المحطات رغم توفرهم على تذاكر السفر. فضلا عن إنزال بعضهم من الحافلات بالقوة أو منع هذه الحافلات من التحرك نحو الرباط. فعندما تبدأ المهزلة لا تنتهي.

لكن كل هذه الأساليب وكل الترهيب وكل الافتراءات التي أطلقتها أبقاق الحكومة وأحزابها ضد المسيرة لم تؤد إلى تراجع المحتجين عن عزمهم على إنجاز المسيرة. بل أبدعوا وسائل متعددة، وفي النهاية تمكنوا بطبيعة الحال من الالتحاق بالعاصمة.

ماذا بعد؟

سوف تنتصر هذه المعركة حتما، إذا استمر الأساتذة المتدربون في صمودهم، وسوف يفرضون على الحكومة الاستجابة لمطالبهم. وسواء كان انتصارا كاملا على شكل إلغاء كلي للمرسومين، أو جزئيا على الأقل عبر استثناء الفوج الحالي من تنفيذه، فإن الانتصار حتمي في كلا الحالتين، وهزيمة الحكومة مؤكدة كذلك. لكن هل سيكون ذلك نهاية المطاف؟

على الشباب الأكثر وعيا واطمئنانا بين الأساتذة والأطباء والمرضى وغيرهم من الفئات، أن يطرحوا هذا السؤال على أنفسهم بوضوح. ليس من الممكن والواجب مواصلة النضال من أجل القضاء جذريا على هذه المخططات وهذه الاعتداءات وهذا القمع لكي يعيش الشعب المغربي أمنا من القمع والاستغلال والبطالة والامية والفقر، في وطن يستفيد فيه كل أبناء من ثرواته على قدم المساواة؟

هل من الحتمي أن تستمر قلة من الطفيليات في نهب كل الثروات وتحميل الأغلبية الساحقة من الكادحين تبعات أزمة نظامهم المتعفن؟ هل قدر الشعب المغربي أن يستمر إلى الأبد تحت أحذية النظام الدكتاتوري الوحشي الذي يقمع كل تفكير وكل تعبير وكل معارضة؟ طبعاً لا! ليس من ضرورة لبقاء مثل هذا الوضع الشاذ. بل من الممكن والضروري تغييره بواقع آخر إن أردنا اجتثاث الفقر والجهل والمرض والبطالة والقمع وغيرها من تقيحات الرأسمالية.

لذلك يجب علينا نحن الشباب ألا نفتكر في نضالنا على هذا المطلب الجزئي أو ذاك، ولا نحصر جهدنا في التصدي لهذا المظهر أو ذاك من مظاهر الاستغلال، وأن نتوجه إلى امتلاك نظرة أعمق وأشمل للمشاكل التي نعانيها وبعانيتها شعبنا.

علينا أن نعمل على بناء القيادة الثورية، أي الحزب العمالي الثوري، الذي وحده من يمكنه أن يوحد كل هذه النضالات المشتتة والجزئية والمعزولة، ويقدم لها برنامجا ثوريا ومنظورات علمية وتكتيكات صحيحة لضمان الانتصار النهائي على طبقة الرأسماليين ونظامها الدكتاتوري للذات قادا البلاد إلى الخراب.

إن بناء القيادة الثورية ليست مهمة يمكن تأجيلها إلى ما لا نهاية، فهي لن تسقط بالتقادم، كما أن إنجازها ليست مهمة "الأخريين"، إنها مهمة كل مناضل ثوري حقيقي وكل مناضل عمالي حقيقي وكل مثقف ثوري، عنده قناعة حقيقية بضرورة التغيير والثورة وبناء الاشتراكية.

إن رابطة العمل الشيوعي منظمة ماركسية ثورية، فرع للتيار الماركسي الأممي، تضع على كاهلها مهمة بناء الحزب الماركسي الثوري بالمغرب، إن كنت تتفق معنا في أفكارنا التحق بنا في نضالنا لبناء القيادة الثورية وإنجاز الثورة الاشتراكية في المغرب والعالم.

رابطة العمل الشيوعي
الأربعاء: 27 يناير 2016

بالتأكيد في إعادة الكرة مجددا، بل إنهم يتحرقون شوقا لتنفيذ مجزرة أشد في حقنا.

كما يجب علينا ألا ننسى أن تلك "الفعاليات المدنية" ليست في تسعة أعشارها سوى ملحقات لوزارة الداخلية وأجهزتها، ومن منهم ليس عميلا مباشرا للمخابرات فإنه في الغالب من شبيبات نفس الأحزاب الرسمية وخاصة الحزب الحاكم وشرذمة من المرترقة وزبالة المجتمع من وصولييين محترفين.

أين كان بيروقراطيو النقابات هؤلاء وأين كانت تلك "الفعاليات" عندما خرج المرسمون لأول مرة؟ وأين كانوا طيلة شهور ونحن نخوض المعارك لوحدنا؟ ليس لأحد أن يتكلم باسمنا ما عدا الهياكل الرسمية للتنسيقية والممثلين الذين انتخبناهم بشكل ديمقراطي وعبروا في الممارسة الفعلية أنهم يستحقون الثقة التي أوليناها إياها.

علينا ألا نثق سوى في قوتنا وتنظيمنا وفي أبناء شعبنا من عمال وشباب ثوري وكل هؤلاء الكادحين الرائعين الذين خرجوا وتضامنوا معنا وسيخرجون بالتأكيد مرة أخرى للنضال إلى جانبنا إذا ما رأوا أننا نستحق ذلك. ولن نستحق ذلك إلا إذا استمرينا في التشبث بضرورة إسقاط المرسمين نهائيا.

انتشار التحدي

وما تخشاه الحكومة وأسيادها حصل فعلا. فقد ألهمت معركة الأساتذة المتدربين فئات أخرى للنهوض إلى النضال ورفع راية التحدي. حيث خرج أساتذة سد الخصاص والتربية غير النظامية للنظائر بدورهم صباح يوم الثلاثاء 26 يناير، أمام البرلمان لمطالبة وزارة التربية الوطنية بتسوية وضعيتهم المالية والإدارية. بعد أن شاركوا بمعوية الأساتذة المتدربين في عدد من الأشكال الاحتجاجية.

كما أعلنت "التنسيقية الوطنية للممرضين المعطلين" بدورها، عزمها تنظيم مسيرة وطنية يوم 04 فبراير المقبل بالعاصمة، للمطالبة بالعمل.

وأكدت التنسيقية الوطنية للممرضين في بيان لها على استعداد الممرضين والخريجين والطلبة «لجميع أنواع الأشكال الاحتجاجية من اعتصامات وإضرابات عن الطعام ومسيرات احتجاجية» حتى تحقيق المطالب.

والجدير بالذكر هو أن هذه التحركات تأتي بدورها بعد نجاح تحركات جماهيرية مع الطلبة الأطباء ضد مرسوم مشابه وتحركات سكان العديد من المدن الشمالية ضد شركة أمانديس لتوزيع الماء والكهرباء، وهي التحركات التي انتهت جميعها بتنازلات مذلة للحكومة.

وبعد هؤلاء وأولئك سيأتي دور فئات أخرى ستخرج بدورها للنضال ضد سياسة التقشف ومختلف الهجومات التي تشنها الطبقة السائدة.

كما تأتي في سياق نهوض نضالي تشهده كل منطقة شمال أفريقيا الجزائر وتونس ومصر ضد الرأسمالية والقهر.

وبالفعل تم تنظيم حوار، يوم الأربعاء 27 يناير 2016، جمع أعضاء من تنسيقية الأساتذة المتدربين، وممثلين عن الحكومة وممثلين عن المركزيات النقابية و"الفعاليات المدنية"، من جهة ومن جهة أخرى والتي جهة الرباط ممثلا عن الحكومة وممثل عن مديرية الأكاديميات ومديرية مراكز تكوين مهن التربية والتكوين ومدير مندوبية التخطيط.

خلال ذلك الحوار الذي دام ثلاث ساعات عبر الأساتذة المتدربون عن تشبثهم بإلغاء المرسمين نهائيا، بينما اعتبر الوالي، ممثل الحكومة، أنه لا يمكن التراجع عن المرسمين، مقترحا توظيف هذا الفوج دفعة واحدة عبر إجراء مباراة. وكان الموقف الكارثي والخيانة، كما هي العادة دائما، هو موقف "الفعاليات المدنية" التي اقترحت تجميد المرسمين بالنسبة لهذا الفوج فقط مع تعديله مستقبلا، أما مقترح المركزيات النقابية فقد قال بالاعتماد على صيغة مباراة التخرج بشكلها القديم لتوظيف هذه الدفعة كاملة، والحفاظ على نفس قدر المنحة السابقة، والاستمرار في الحوار بخصوص المرسمين لإدخال التعديلات عليهما مستقبلا.

وفي النهاية لم يتوصل المتحاورون إلى حل نهائي بسبب تباعد المواقف بين مقترحات الحكومة وبين ممثلي الأساتذة المتدربين. وكانت النتيجة هي «الاتفاق على جولة ثالثة من الحوار لم يحدد موعدها، ستكون بمبادرة من ممثلي الحكومة، بعد تدارس المقترحات التي قدمتها المركزيات النقابية و"مبادرة الفعاليات المدنية"، من أجل الحسم في قرار بهذا الشأن».

لقد أبان المفاوضون باسم التنسيقية عن براعة كبيرة في إدارة المفاوضات، فقد تشبثوا بمطالبنا وعبروا عنها بشكل جيد، هذه هي الطريقة السليمة للتفاوض. علينا أن ندخل إلى تلك المفاوضات لكي نفرض مطالبنا، خاصة وأن موازين القوى لصالحنا بشكل كبير. لكن علينا ألا نولي أهمية كبرى لتلك "الحوارات" الماراطونية التي ليس لها من هدف سوى استنزاف الحركة وإبعادها عن الشارع وعن حاضنتها الشعبية وعزلها في الغرف المغلقة والنقاشات القانونية والمجاملات والوعود. سنحسم معركتنا وسنتصر بالنضال.

ليست الحوارات والمفاوضات في حد ذاتها شيئا سينا، بل إنها ضرورية وحتمية عند نقطة معينة من تطور الصراع. لكنها في نفس الوقت ليست هدفا في حد ذاتها. علينا ألا نسمح لهم بتجريدنا من سلاحنا الذي هو وحدتنا وتنظيمنا وقدرتنا على الخروج إلى الشارع للاحتجاج. إن ما يحسم نتيجة المفاوضات، في آخر المطاف، ليس "النوايا الحسنة" أو "الوساطات" بل ميزان القوى على الأرض.

علينا ألا ننسى أن نفس تلك الحكومة ومسؤوليها، من والي وغيره، والذين يستقبلونا اليوم بالابتسامات والكلمات الجميلة، هم أنفسهم من أعطوا الأوامر بضربنا وكسر عظامنا، وهم أنفسهم من وجهوا لنا التهديد في حالة ما تجرأنا وخرجنا يوم 24 يناير الماضي، ولن يتورعوا

2016: عالم على حافة الهاوية

"وداعا للقديم، مرحبا بالجديد"، كانت هذه دائما هي عبارة الترحيب بالسنة الجديدة. لكن وسط كل الاحتفالات وزجاجات الشمبانيا، لم تكن هناك أية علامة على التفاؤل أو الأمل في المستقبل من جانب الطبقة الحاكمة ومفكرها، بل على العكس من ذلك تمتلئ أعمدة الصحافة البرجوازية بالتشاؤم والندب.

سيطرتهم، بدأوا يبحثون بشدة عن يمكنه أن يساعدهم في إطفاء الحرائق التي أشعلوها هم أنفسهم. لكن من سيكون ذلك؟ إن الأميركيين مضطرون إلى اللجوء، على مضض، إلى أكثر الحلفاء غير المتوقعين وغير المرحب بهم من بين جميع الحلفاء الذين يمكن تخيلهم، أي: روسيا وإيران.

لم يمض وقت طويل منذ أن كان الأميركيون، وحلفاؤهم في حلف شمال الأطلسي، يرددون باستمرار تلك الانشودة الرتيبة عن "عزل روسيا". أواه نعم! "لقد تم عزل روسيا دوليا"، كان هذا هو الشعار الذي يتكرر كل يوم. لكن الآن، وكما لو بفعل السحر، روسيا ليست معزولة على الإطلاق، بل يتم التودد لها وتكريمها وكيل المديح لها، ولو بوجه عابث نوعا ما. وها هم الآن يرددون باستمرار: "ليست لدينا نية في عزل روسيا"، "يجب علينا التوصل إلى تفاهم مع روسيا"، ويأملون ألا يلاحظ أحد تغيير اللحن.

لم يكن ذلك تخبط الاحتضار الوحيد الذي قامت به واشنطن في عام 2015. حيث أن الفقرة الأكثر إثارة للعجب في السيرك الدبلوماسي هي تلك التي قامت بها في العلاقة مع إيران. نفس إيران التي، مثلها مثل روسيا، كانت محكومة بالنبذ دوليا، والتي تعرضت للعقوبات، والتي كادت حتى أن تتلقى هدايا القوات الجوية الأمريكية، ها هي قد أصبحت الآن صديقة لأمريكا. وكما نعلم جميعا، فالصديق في وقت الحاجة هو الصديق الحقيقي!

ليس من الصعب فهم السبب وراء هذه الألعاب البهلوانية الدبلوماسية المذهلة. لقد كانت العمليات العسكرية الجدية الوحيدة ضد الجهاديين في سوريا هي تلك التي أنجزت من قبل الروس بالتعاون مع جيش بشار الأسد. والعمليات العسكرية الجدية الوحيدة ضد داعش في العراق (باستثناء الأكراد الذين يقاتلون في مناطقهم)، لا يقوم بها ما يسمى بالجيش العراقي والولايات المتحدة التي تدعمه، بل الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران وعناصر من الجيش الإيراني.

لقد اضطر الأميركيون عمليا إلى إدراك هذه الحقيقة، وأدعوا لمطالب روسيا وإيران بأن بشار الأسد يجب أن يبقى في السلطة في المستقبل المنظور. وجاء في تقرير للمحقق الصحفي الأمريكي البارز، سيمور هيرش، في مجلة (the London Review of Books): «لقد قدمت هيئة الأركان العسكرية الأمريكية المشتركة للجيش السوري معلومات أمنية عبر ألمانيا وروسيا وإسرائيل».

شارك في الاحتجاجات المناهضة للحكومة التي اندلعت في المملكة العربية السعودية في فترة الربيع العربي، إلى أن تم القبض عليه في عام 2012.

تنظر واشنطن إلى الوضع بخليط من الحذر والعجز. قال المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية، جون كيربي، كلمات مهدئة: «نحن سنواصل حث القادة في جميع أنحاء المنطقة لاتخاذ خطوات إيجابية لتهدئة التوترات، ونحن نعتقد أن المشاركة الدبلوماسية والمبادرات المباشرة ما تزال ضرورية.»

لكن في حين تبشر واشنطن باليمن والسلي، يعمل أصدقاؤها وحلفائها في الرياض على صب براميل البنزين على نيران المنطقة الشديدة الانفجار أصلا. تشبه كلمات كيربي خطابا يلقيه نباتي في المؤتمر السنوي لأكلة لحوم البشر. والفرق الوحيد هو أن الرجل الذي ألقى الخطاب هو ممثل أشرس أكل لحوم البشر على وجه الأرض.

إن النيران التي تحاصر منطقة الشرق الأوسط بأكملها هي نتيجة مباشرة للغزو الإجرامي الذي قامت به الإمبريالية الأمريكية للعراق وتدخلها المستمر في تلك المنطقة التعيسة. بعد أن زعزع الأميركيون وحلفائهم استقرار العراق وحولوه إلى بلد محطم مزقته الحرب، ساعدوا وحرصوا القوى الرجعية في سوريا والتي صارت تشكل الآن تهديدا خطيرا لمصالحهم. لكن ما يسمى "بالحرب على الإرهاب"، التي زعمت الولايات المتحدة وحلفاؤها شنها على مدى السنوات الماضية، في العراق على وجه التحديد، لم تحقق أي شيء على الإطلاق. وقد اتضح أن مزاعم الجيش العراقي الجبان والمثير للشفقة، والذي تسيطر عليه الولايات المتحدة، بأنه استعاد الرمادي من داعش مجرد كذبة.

بينما أنا أكتب هذه السطور، ما يزال الجهاديون يسيطرون على أجزاء كبيرة من تلك المدينة (أو ما تبقى منها) وما يزال القتال دائرا. لا شك في أن الجيش العراقي سينجح في نهاية المطاف في السيطرة على كومة من الأنقاض المشتعلة. لكن "الانتصار" في الرمادي لم ينعف سوى في فضح كون الجيش العراقي مجرد أداة غير مجدية. إن هذه المهزلة المخزية تفضح فراغ كل تلك الادعاءات المتبجح لوزارة الدفاع الأمريكية، التي تدفع أجورهم وتضع البنادق في أيديهم، والتي سوف يرمون بها في أقرب وقت، عندما تسنح لهم أول فرصة مناسبة.

أمريكا وروسيا وإيران

إن الأميركيين، وبعد أن استيقظوا أخيرا على الخطر الذي تمثله القوى التي تمردت على

يوم 28 دجنبر نشرت صحيفة فاينانشال تايمز مقالا بقلم جدعون راتشمان تحت عنوان مثير للاهتمام: "مضروب ومجروح وعصبي، العالم كله على حافة الهاوية"، حيث نقرأ ما يلي:

«يبدو أن شعورا بعدم الارتياح والتشاؤم ساد في عام 2015 جميع مراكز القوى الرئيسية في العالم. فمن بكين إلى واشنطن ومن برلين إلى برازيليا ومن موسكو إلى طوكيو - ساد بين الحكومات ووسائل الإعلام والمواطنين شعور بالعصبية والحصار.

هذا النوع من القلق المعولم أمر غير مألوف. فعلى مدى السنوات الثلاثين الماضية، وأكثر، كنت تجد قوة عالمية واحدة، على الأقل، تشعر بالتفاؤل. في أواخر الثمانينات كان اليابانيون ما يزالون يتمتعون بطفرة استمرت لعقود طويلة - وكانوا يشترتون بثقة الأصول في جميع أنحاء العالم. وفي التسعينات نعمت أمريكا بالانتصار في الحرب الباردة وتوسع اقتصادي طويل الأمد. ومع مطلع الألفية الثالثة كان الاتحاد الأوروبي في مزاج منتش، حيث أطلق العملة الموحدة وزاد عدد أعضائه بالضعف تقريبا. وطيلة معظم العقد الماضي، أشارت القوة السياسية والاقتصادية المتنامية للصين الاحترام في جميع أنحاء العالم.

لكن في الوقت الحالي يبدو أن كل اللاعبين الكبار يشعرون بالرؤية، بل وحتى الخوف. وكان الاستثناء الجزئي الوحيد الذي رأيت هذا العام هو الهند، حيث ما تزال الشركات والنخبة السياسية منتشبة بفعل الحماس الإصلاحية لرئيس الوزراء ناريندرا مودي.

وعلى النقيض من ذلك، في اليابان بدأ الإيمان يتلاشى بأن تتمكن الإصلاحات الجذرية، المعروفة باسم Abenomics، أن تخرج حقا البلاد من دورة الديون والانكماش. ويزداد القلق الياباني بسبب استمرار التوترات مع الصين. ومع ذلك فإن انطباعي الرئيسي الذي وصلت إليه من زيارتي إلى الصين، في وقت مبكر من هذه السنة، هو أن هذا البلد أيضا يشعر بأنه أقل استقرارا مما كان عليه حتى قبل بضع سنوات مضت. لقد انتهى ذلك العصر الذي كانت فيه الحكومة قادرة على تحقيق نمو بمعدل 8% أو أكثر في السنة. والمخاوف بشأن الاستقرار المالي المحلي في تصاعد مستمر، مثلما ظهر من خلال الاضطرابات التي شهدتها بورصة شنغهاي خلال الصيف».

انفجارات جديدة في الشرق الأوسط

بدأت السنة الجديدة بلقطة درامية قوية، كان مسرحها، كما يمكن للمرء أن يتوقع، هو صفيح الشرق الأوسط الساخن، بعد إعدام الشيخ نمر النمر، رجل الدين الإسلامي الشيعي البارز، والمنقذ الدائم للأسرة السعودية المالكة والذي

أوروبا في أزمة

المزاج العام في أوروبا كئيب للغاية. وقد شوه عام 2015 في كل من بدايته ونهايته بانتئين من الهجمات الإرهابية الدموية في باريس. ولم يتمكن سكان ميونخ وبروكسل حتى من الاحتفال بالعام الجديد بالأسلوب المعتاد خوفاً من اعتداءات إرهابية جديدة. وفي باريس تم منع عرض للألعاب النارية. الخوف والارتياح في كل مكان.

يتوقع جميع الاقتصاديين الجدد دخول الاقتصاد العالمي في ركود آخر، والذي يمكن أن يبدأ في آسيا نتيجة للتباطؤ الحاد للاقتصاد الصيني العظيم، لكنه قد يبدأ أيضاً في أوروبا. ألمانيا، التي كانت سابقاً قاطرة للنمو الاقتصادي في أوروبا، قد توقفت وسقطت في الأزمة بوصول أكثر من مليون لاجئ من منطقة الشرق الأوسط ومناطق الحرب الأخرى.

اليورو الذي كان من المفترض أن يكون، مع اتفاقية شنغن، أساساً لمزيد من التكامل الاقتصادي، تحول إلى نقيضه. وقد انفتحت هابوية سحيقة بين ألمانيا وبين دول جنوب أوروبا، في حين أن أزمة اللاجئين قد دقت إسفيناً بينها وبين بلدان شرق أوروبا. عذاب اليونان الطويل سيستمر، بما أن لا شيء على الإطلاق قد تم حله. وخروج اليونان من منطقة اليورو ليس سوى مسألة وقت.

وسوف يكون هذا بدوره سبباً في أكبر الألام والمعاناة للشعب اليوناني، ويمكن أن يكون بمثابة الحافز الذي سيدفع بلداناً أخرى نحو باب الخروج. ستجري بريطانيا استفتاء يمكن أن ينتهي بمغادرة المملكة المتحدة للاتحاد الأوروبي. والمشاعر المناهضة للاتحاد الأوروبي تتصاعد في فرنسا وغيرها من البلدان. لقد صار مستقبل الاتحاد الأوروبي نفسه، وليس فقط عملة اليورو، موضع سؤال.

فليان سياسي

تشاؤم البرجوازية له ما يبرره. لكنه جانب واحد للعملة فقط. إن أزمة الرأسمالية تلد حتماً نقيضها: إنها ولادة روح جديدة من الثورة التي وحدها من يمكنها أن تعطي للبشرية الأمل في المستقبل. وببطء لكن بثبات يصحو وعي الجماهير. وفي الوقت الذي ليست البراعم الخضراء للانتعاش الاقتصادي سوى ضرب من ضروب خيال الاقتصاديين، فإن البشائر الأولى لانتعاش المزاج الثوري حقيقية وملموسة في نفس الآن.

من المسلمات الأساسية للمادية الجدلية أن الوعي البشري يتأخر دائماً وراء الأحداث. لكنه عاجلاً أم آجلاً يدركها بطفرات. وهذا هو بالضبط ما تعنيه الثورة. وما نشهده اليوم في بريطانيا هو بداية ثورة سياسية. فبين عشية وضحاها تحولت المعادلة برمتها، وهذا في حد ذاته هو عرض من أعراض التغيرات العميقة التي تحدث في المجتمع. إن المنعطفات الحادة والتغيرات المفاجئة مسائل متضمنة في الوضع الحالي.

أزمة اللاجئين

قال التحريفي والماركسي المزيف هوبساوم، مردداً فكرة أعرب عنها كاوتسكي أفضل منه بكثير من قبل، بأنه في عصر العولمة سوف تتوقف الحدود الوطنية عن أن يكون لها أي معنى وأن الحروب ستصير شيئاً من الماضي. لكن بدلاً من ذلك تسود القرن الواحد والعشرين حروب لا تنتهي والعنف والصراعات القومية من كل نوع. وليس الشرق الأوسط سوى مثال واحد فقط عن هذا.

تتسبب الفوضى الدموية في سوريا في موجة نزوح جماعي لم يسبق لها مثيل ربما منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. يصارع الآلاف والآلاف من اللاجئين، الذين يعانون البرد والانهاك والجوع، بقبضات عارية ضد أسوار الأسلاك الشائكة التي أقيمت على عجل من قبل قوات النظام والقانون في أوروبا المنحصرة. لا شيء يمكنه أن يفصح النفاق الإجرامي للبرجوازيين الأوروبيين أكثر من رد فعلهم تجاه أزمة اللاجئين.

لقد تم خداع شعوب أوروبا وأمريكا، لسنوات عديدة، بكذبة أن كل أعمال العدوان الإمبريالي مدفوعة بأظهر الاعتبارات الإنسانية. وقد خلقت هذه "الاعتبارات" أكبر كارثة إنسانية منذ الحرب العالمية الثانية. وبعد أن أسهمت في فوضى هائلة في سوريا، ها هي حكومات أوروبا مشغولة الآن بالعمل، بأفضل وسيلة ممكنة، لإغلاق الباب في وجه الضحايا التعساء لتلك الحرب.

الوضع ليس أفضل حالاً على الجانب الآخر من المحيط الأطلسي. فقبل مائة عام كتبت أمريكا على تمثال الحرية العبارات المشهورة التالية:

«أعطوني جماهيركم المنهكة، الفقيرة
المتعطشة لاستنشاق نسيم الحرية،
نفايات الشواطئ الذين عصفت بهم الرياح
ابعثوا لي بهؤلاء المشردين
لقد تركت مصباحي عند مدخل الباب
الذهبي».

تبدو هذه الكلمات الآن وكأنها سخريّة قاسية. فنفس أمريكا هي من تقيم أسواراً أعلى من أي وقت مضى للحفاظ على الجماهير المحتشدة الفقيرة على الجانب الآخر من ريو غراندي. ويدعو المرشح الرئاسي الرئيسي للحزب الجمهوري علناً إلى فرض حظر على جميع المسلمين الذين يرغبون في دخول الولايات المتحدة. هذا هو الصوت الحقيقي لرأسمالية القرن الواحد والعشرين: صوت الرجعية الصريحة والشوفينية وكره الأجانب والعنصرية.

بدلاً من بوتوبيا ذلك التحريفي حول عالم بلا حدود، يجري تعزيز الحدود الوطنية في كل مكان. وتجري إعادة الرقابة على الحدود ليس فقط على هوامش أوروبا، بل أيضاً بين الدول الأعضاء في اتفاقية شنغن. والآن تعمل السويد اللطيفة الديمقراطية على فرض الرقابة على المسافرين القادمين من الدنمارك اللطيفة الديمقراطية. لم يتبق شيء من حلم أوروبا الموحدة، الذي كان دائماً مستحيلاً على أساس الرأسمالية.

يتوافق هذا مع التصريحات التي أدلى بها المدير السابق "لوكالة استخبارات الدفاع" الأمريكية (DIA)، مايكل فلين، لنفس المجلة حول أن وكالته أرسلت، ما بين 2012 و 2014، عدداً من رسائل التحذير من عواقب الإطاحة بنظام الأسد. وبدأت وكالته في إعطاء نظام الأسد معلومات استخباراتية (دون الحصول، على ما يبدو، على موافقة السياسيين) لمواصلة حربه ضد "العدو المشترك".

لقد صار الأمريكيان وحلفاؤهم مجبرين بقوة الواقع على التخلي عن الوهم المثير للسخرية عن "المعارضة الإسلامية المعتدلة" في سوريا. تتشكل هذه "المعارضة المعتدلة"، كما يعلم الجميع الآن، من الجماعات الجهادية المتطرفة مثل جبهة النصرة، التي دعمتها أمريكا، والتي هي الفرع السوري لتنظيم القاعدة. يرغب قسم من الإمبريالية الأمريكية (وكالة المخابرات المركزية الأمريكية CIA) في مواصلة هذه السياسة، لكنها تتناقض مباشرة مع تغير موقف الإدارة الأمريكية فيما يتعلق بروسيا وإيران. وفي الوقت نفسه، يواصل الروس قصف جميع القوى الجهادية، دون إغارة أدنى انتباه لصيحات الاحتجاج في واشنطن.

السعوديون والأتراك

تخلق هذه الانقسامات في واشنطن انطباعات بالارتباك والتردد، اللذان يتجسدان في شخص الرئيس أوباما. ليس هناك أدنى شك في أن إسقاط طائرة روسية من قبل الأتراك كان استفزازاً متعمداً من جانب اردوغان، والقصد منه هو الوقيعة بين أمريكا وروسيا. وكما توقعنا فقد فشلت هذه المناورة تماماً.

ويعتبر إعدام نمر النمر، تلك الجريمة القضائية التي أمرت بها الطغمة الحاكمة في السعودية، إجراء من نفس النوع. لقد كان استفزازاً متعمداً يهدف إلى إثارة الفتنة الطائفية بين الشيعة والسنة، ودفع حكومة طهران إلى القيام بعمل عسكري ضد المملكة العربية السعودية، التي سوف تطلب المساعدة من الأمريكيين.

كان رد الفعل الفوري ضد هذه الجريمة القضائية الواضحة هو اقتحام السفارة السعودية في طهران. فقامت المملكة العربية السعودية على الفور بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران. كل هذا كان مديراً بعناية. لقد رسمت الخطوات بعناية مثل خطوات راقصة الباليه. لكن هذا الباليه هو رقصة الموت. كان ذلك عملاً يائساً من قبل النظام السعودي الذي يجد نفسه في ورطة كبيرة، ويواجه احتمال السقوط.

أخطأ المجرمون السعوديون الحسابات في اليمن، حيث تورطوا في حرب لا يمكنهم الفوز بها. وهم الآن أثاروا غضب الشيعة الذين يشكلون عشرين بالمائة على الأقل من الشعب السعودي، من بين أكثر الفئات فقراً واضطهاداً. وقد اندلعت مظاهرات حاشدة في المدن السعودية بشعارات من قبيل: "الموت لأسرة آل سعود!". إن الطغمة الحاكمة السعودية بهذا العمل زرعت الرياح وسوف تجني العاصفة.

للرأي أجري سنة 2011 أن 49% من الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و 29 لديهم نظرة إيجابية للاشتراكية، مقابل 47% لهم نظرة إيجابية للرأسمالية. وكشف استطلاع للرأي أكثر حداثة، أجري في شهر يونيو 2014، أن 47% من الأمريكيين سيصوتون لصالح مرشح اشتراكي، وتبلغ النسبة 69% بين الذين تقل أعمارهم عن 30 سنة.

تحرص أعداد كبيرة من الناس، كثير منهم شباب، على سماع خطاب بيرني ساندرز. صحيح أن هذا أقرب إلى النمط الاسكتلندي للديمقراطية الاجتماعية منه إلى الاشتراكية الحقيقية، لكنه بالرغم من ذلك أحد المؤشرات الأكثر أهمية على أن شيئاً ما يتغير في الولايات المتحدة الأمريكية.

أدى الوضع في روسيا إلى خلافات في بقية أوروبا. ظاهرياً قد يبدو متناقضاً أن بوتين خرج قويا من الأزمات في أوكرانيا وسوريا. ولاقت جهود الغرب لعزله الفشل الذريع. ففي سوريا يعتبر هو الرجل الذي يدعو الآن للمبادرات. وحتى لو استمرت الولايات المتحدة في الحفاظ على العقوبات ضد شبه جزيرة القرم وأوكرانيا، فيمكننا التنبؤ بثقة أن حلفائها الأوروبيين سوف يسحبون عقوباتهم بهدوء. يحتاج الاقتصاد الأوروبي المازوم إلى السوق الروسية والغاز الروسي بقدر ما تحتاج البرجوازية الأوروبية للمساعدة الروسية لمسح الفوضى في سوريا (وإن شاء الله) وقف تدفق اللاجئين الذي لا ينتهي.

لكن إذا نظرنا أعمق في الوضع، فإنه سيظهر لنا من الواضح أنه ليس مستقراً جداً كما يبدو. لقد استمر الاقتصاد الروسي في الهبوط، وتضرر بفعل انخفاض سعر النفط والعقوبات الغربية. الأجور الحقيقية أخذت في الهبوط ولم يعد يمكن للطبقة الوسطى قضاء عطلة نهاية أسبوع ممتعة في لندن وباريس. إنها تبدي تدمرها لكنها لا تفعل شيئاً. تأثر العمال الروس بالدعاية الرسمية حول أوكرانيا، لقد أصيبوا بالفزع من أنشطة الفاشيين الأوكرانيين والقوميين المتطرفين وكان بوتين قادراً على الاستفادة من تعاطفهم الطبيعي مع إخوانهم وأخواتهم في شرق أوكرانيا.

قد يكون بوتين قادراً على الحفاظ على قبضته على السلطة لبعض الوقت، ولكن كل شيء له حدود، وفي النهاية فإن التاريخ يصدر حكمه دائماً. أدت الأزمة الاقتصادية إلى انخفاض حاد في مستويات معيشة العديد من العمال، خصوصاً خارج بيترسبورغ وموسكو. الجماهير صبورة، لكن صبرها له حدود. شاهدنا الدليل على ذلك في نهاية عام 2015 عندما انخرط سائقو شاحنات المسافات الطويلة في الإضراب. ذلك مؤشر صغير ربما، لكنه مع ذلك مؤشر على أن استياء العمال الروس سيجد إن عاجلاً أو آجلاً تعبيره في احتجاجات أكثر جدية.

نوعيات متشائمة

كل هذه الظواهر تعكس، في العمق، حقيقة أن النظام الرأسمالي قد وصل إلى حدوده. والعلامة، بعد أن استنفدت نفسها، قد تحولت إلى نقيضها،

وضحاها. استبق هذا التطور من خلال الأحداث في اسكتلندا، حيث انعكس التمرد ضد النظام في النمو السريع للحزب الوطني الاسكتلندي (SNP). لم تكن تلك حركة نحو اليمين بل نحو اليسار، ولم تكن تعبيراً عن النزعة القومية بل عن كراهية قوية ضد النخبة التي تحكم في وستمنستر. لقد صار حزب العمال، نتيجة لسياسات التعاون الطبقي الجبانة التي تتجهها قيادته، يبدو على أنه مجرد جزء من ذلك النظام.

على مدى عقود كان حزب العمال، تحت القيادة اليمينية، ركيزة لدعم النظام القائم. والطبقة الحاكمة لن تتخلى عنه دون مقاومة شرسة. خط الدفاع الأول عن النظام الرأسمالي هو برلمانيو حزب العمال نفسه. إن أغلبية البلييريين [اتباع الزعيم اليميني لحزب العمال توني بليير - المترجم] بين برلمانيي الحزب هم عملاء مباشرين واعون لأصحاب الأبنك والرأسماليين في هذا الصراع وهذا ما يفسر إصرارهم المتعصب للتخلص من جيريمي كوربين مهما كلف الأمر. يجري الآن تحضير الشروط لانسحاق في حزب العمال والذي من شأنه أن يخلق وضعاً جديداً تماماً في بريطانيا. كل هذا هو تعبير عن الاستياء العميق الموجود في المجتمع، والذي يسعى للحصول على تعبير سياسي. هناك في جميع أنحاء أوروبا خوف من أن سياسات التقشف لن تكون مجرد إجراءات مؤقتة، بل هجوماً دائماً على مستويات المعيشة. وفي بلدان مثل اليونان والبرتغال وأيرلندا قد أدت هذه السياسات بالفعل إلى تخفيضات كبيرة في الأجور الاسمية وفي مخصصات التقاعد دون أن تحل مشكلة العجز. وهكذا فقد كانت كل المعاناة والحرمان اللذان فرضا على الشعب بدون جدوى. وفي كل مكان صار الفقراء أكثر فقراً والأغنياء أكثر ثراءً.

لا تقتصر هذه السيرورات على أوروبا. تقدم الانتخابات الرئاسية الأمريكية تطوراً أكثر إثارة للاهتمام. من المستحيل، بطبيعة الحال، التنبؤ بالنتيجة بأي درجة من اليقين، بالنظر إلى الظرفية السياسية الأمريكية المضطربة للغاية والمتقلبة. لقد ركز السيرك الإعلامي بشكل حصري تقريباً على شخص الجمهوري دونالد ترامب. يبدو من غير المحتمل أن تعهد الطبقة الحاكمة في الولايات المتحدة بشؤونها إلى مهرج جاهل. لكنها فعلت ذلك في مناسبتين على الأقل في الماضي القريب. تمثل هيلاري كلينتون بالتأكيد رهاناً أكثر أماناً من وجهة نظر الطبقة الحاكمة.

لكن التطور الأكثر أهمية من ترامب وكلينتون هو الدعم الكبير لبيرني ساندرز الذي يتحدث علناً عن الاشتراكية. إن ظهور بيرني ساندرز كمنافس للفوز بترشيح الحزب الديمقراطي لمنصب الرئاسة هو مؤشر من مؤشرات السخط العميق والغليان الموجودين في المجتمع. إن هجماته ضد طبقة أصحاب الملايير ودعوته لـ "ثورة سياسية" تجد صدى لها بين ملايين الناس، وعشرات الآلاف يحضرون لقاءاته الانتخابية.

يتم استخدام كلمة "اشتراكية" الآن في كثير من الأحيان في وسائل الإعلام. وأظهر استطلاع

صحيح أن الوعي قد تشكل إلى حد كبير بذكريات الماضي. وسيستغرق الأمر وقتاً قبل أن ينخلص وعي الجماهير من الأوهام القديمة في الإصلاحية. ولكن تحت ضربات مطرقة الأحداث ستكون هناك تغييرات مفاجئة وحادة في الوعي. الويل لمن يحاولون الاستناد إلى وعي الماضي الذي اختفى بالفعل نهائياً! يجب على الماركسيين أن يستندوا إلى السيرورة الواقعية وإلى منظورات المرحلة المقبلة، والتي ليس لها أي تشابه مع ما شهدناها حتى الآن.

إن الجماهير التي تبحث عن وسيلة للخروج من الأزمة، تضع على محك التجربة الأحزاب الواحد منها تلو الآخر. ويتم تحليل القادة والبرامج القديمة والتخلص منهم. وتلك الأحزاب التي انتخبت وخانت آمال الشعب وفقدت سياسة الاقتطاعات، في انتهاك لوعودها الانتخابية، تجد نفسها وقد فقدت مصداقيتها بسرعة. وما كان يعتبر أيديولوجيات سائدة يتعرض للاحتقار. والقادة الذين كانوا شعبيين يصبحون مكروهين. إن التغييرات الحادة والمفاجئة هي على رأس جدول الأعمال.

هناك غضب متزايد ضد النخب السياسية: ضد الأغنياء والأقوياء وأصحاب الامتيازات. رد الفعل هذا على الوضع الراهن، والذي يحتوي على البذور الجينية للتطورات الثورية، يمكن أن يستمر ما بعد النقطة التي يبدأ عندها الاقتصاد في تسجيل علامات على التحسن. لم يعد الناس يصدقون ما يقوله السياسيون أو يعدون به. هناك خيبة أمل متزايدة في المؤسسة السياسية والأحزاب السياسية بشكل عام. هناك شعور عام وعميق بالضائقة الاقتصادية في المجتمع. لكنه يفكر إلى وسيلة قادرة على إعطائه تعبيراً منظماً.

في فرنسا، حيث اكتسح الحزب الاشتراكي الساحة في الانتخابات الرئاسية الأخيرة، سجل فرانسوا هولاند الآن أدنى نسبة شعبية سجلت لأي رئيس فرنسي منذ عام 1958. وفي اليونان شاهدنا انهيار حزب باسوك وصعود حزب سيريزا. وفي إسبانيا لدينا صعود حزب PODEMOS، الذي خرج من العدم ليفوز - جنباً إلى جنب مع حلفائه - بـ 69 مقعداً في البرلمان الإسباني، ويجعل من نفسه حزب المعارضة الوحيد الحقيقي.

رأينا نفس السيرورة تجري في أيرلندا خلال الاستفتاء الأخير. كانت أيرلندا، طيلة عدة قرون، واحدة من أكثر البلدان تشبهاً بالكاثوليكية في أوروبا. لم يمض وقت بعيد منذ أن كانت الكنيسة تمارس سيادة مطلقة على كل جانب من جوانب الحياة. وكانت نتيجة الاستفتاء على زواج المثليين، حيث صوت 62% بنعم، صفة للكنيسة الكاثوليكية الرومانية. كان ذلك احتجاجاً واسع النطاق ضد سلطة الكنيسة وتدخلها في السياسة وفي حياة الناس. شكل هذا تغييراً أساسياً في المجتمع الأيرلندي.

وفي بريطانيا، وعلى عكس كل التوقعات، اجتاح جيريمي كوربين الساحة في انتخابات رئاسة حزب العمال. وكان هذا زلزالاً سياسياً حول الوضع برمته في بريطانيا عملياً بين عشية

الإرهاب، الذي ينتشر عبر العالم مثل وباء لا يمكن السيطرة عليه، هو في حد ذاته واحد من أعراض المرض البنيوي لرأسمالية القرن الواحد والعشرين. وحدثت أعمال إرهاب أخرى أمر لا مفر منه. لا يمكن وقف الإرهابيين عن طريق الأساليب البوليسية، وليس هناك ما يكفي من رجال الشرطة في العالم للتعامل مع ذلك العدد الكبير من الأشخاص العازمين والمتعصبين الذين يرغبون في ارتكاب أعمال القتل ضد المدنيين الأبرياء العزل.

كان لينين محقا عندما كتب أن الرأسمالية هي الرعب بلا نهاية. ومن غير المجدي الشكوى من هذه الفظائع مثلما هو من غير المجدي الشكوى من الآلام التي تصاحب الولادة. ليست مهمة الماركسيين هي الأنين بخصوص العواقب الحتمية لاحتضار الرأسمالية، إننا نترك هذا النوع من السلوك للدعاة والمسالين.

إن مهمتنا هي العمل بلا كلل لنوضح للعمال والشباب الأسباب الحقيقية لهذه الفظائع ونشرح لهم الطريقة التي يمكن من خلالها القضاء نهائيا على المشكلة مرة واحدة وإلى الأبد، وذلك من خلال إحداث تغيير جذري للمجتمع. إن المشاكل الجذرية تتطلب حولا جذرية. ووجدتها الثورة الاشتراكية فقط من يمكنها أن تقدم الحل للمشاكل التي تواجه البشرية. هذه هي القضية الوحيدة التي تستحق أن يناضل المرء من أجلها اليوم.

الآن وودز

الاثنين: 04 يناير 2016

«بالنظر للعديد من المؤشرات الرائدة، فإن التوقعات لسوق السيارات في العام المقبل هي أيضا ليست مشرقة». ويمكننا الإدلاء بأي قدر نريد من الأمثلة المشابهة.

في المقالة التي ذكرناها أعلاه يرسم جدعون راتشمان النتائج الأكثر تشاؤما:

«إن الكآبة العالمية تجعل النظام السياسي الدولي يشعر وكأنه مريض ما يزال يكافح للتعافي من مرض شديد بدأ مع الأزمة المالية عام 2008. وإذا لم تحدث أي صدمات سيئة أخرى، فإن الانتعاش سيبدأ تدريجيا وقد تتلاشى أسوأ الأعراض السياسية. لكن المريض منهك، ويمكن لصدمة شديدة أخرى، مثل هجوم إرهابي كبير أو انكماش اقتصادي خطير، أن يسبب مشاكل حقيقية».

هنا هو الصوت الحقيقي لمنظري الرأسمال. إنهم يتطلعون إلى المستقبل برهبة. وهم، من وجهة نظرهم الطبقة الخاصة، ليسوا مخطئين. سوف تنتج سنة 2016 المزيد من الاضطراب والأزمة الاقتصادية والهجمات على مستويات المعيشة، والمزيد من عدم المساواة والظلم ومزيدا من سفك الدماء والفضى.

ستكرر السنة الجديدة السنة القديمة، لكن بمزيد من الشدة. وسوف تنتج الحروب في الشرق الأوسط وأفريقيا وآسيا نفس التسونامي من البؤس البشري الذي سيستمر في التدفق نحو أوروبا، حيث ستتم مواجهته بحواجز الأسلاك الشائكة والوحشية.

فبعد أن كانت عاملا قويا في تحفيز النمو صارت الآن تساهم في سحب كل البناء المهترئ إلى الهاوية. والحقيقة هي أن ما يسمى بالانتعاش - والذي ليس انتعاشا على الإطلاق - هو ذو طبيعة هشة وضعيفة إلى درجة أن أي صدمة، سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو عسكرية، ستكون كافية لوضع نهاية مأساوية له.

تباطؤ الاقتصاد الصيني يهدد العالم بأسره. فالصين تستورد كميات كبيرة من السلع من دول مثل البرازيل، والآن ينقلص الاقتصاد البرازيلي بنسبة 4,5%. وتوجد بقية بلدان ما يسمى بالبريكس (BRICS) [مصطلح مكون من الأحرف الأولى لما يسمى بالبلدان الصاعدة: البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب أفريقيا - المترجم] في موقف مماثل. تنبؤات المتحدثين باسم الرأسمال حيال المستقبل متشائمة. ذكرت صحيفة وول ستريت جورنال كلمات آدم باركر، الخبير الاستراتيجي في مورغان ستانلي، والذي قال: «نعقد أنه من المرجح أننا ندخل عاما من العوائد المنخفضة، وأظن أن كثيرين آخرين يعتقدون الشيء نفسه».

وقال الرئيس التنفيذي لشركة هيوونداي موتورز إن التوقعات لهذا العام "ليست مشرقة". قال رئيس المجموعة تشونج مونج كو (Chung Mong-koo) لرؤساء وحدات صناعة السيارات في الخارج إن النمو في عام 2015 كان مقيدا بضعف الاقتصاد العالمي، والتباطؤ الاقتصادي في الصين، ثاني أكبر سوق للسيارات في العالم، وتراجع الطلب في الأسواق الناشئة. وقال:

تمة: قمع مسيرة الأساتذة المتدربين: الجريمة والعقاب

سياسة التفتيش والاقطاعات والخصخصة وضرب المكتسبات الاجتماعية للعمال. وكلهم يدافعون عن نفس المصالح: مصالح أصحاب الأبنك وكبريات الشركات المحلية والعالمية.

الطبقة الرأسمالية ونظامها هما العدو الحقيقي. هذا ما يجب علينا أن نفهمه ونشرحه لكل من يريد أن يفهم، إذا كنا نريد بالفعل النضال بشكل فعال ضد أصل الشرور والمظالم التي نعيشها نحن العمال والفلاحون الفقراء والشباب الكادح، واقتلاعها من الجذور.

طبعا من الضروري النضال ضد كل مظاهر الاستغلال وجميع أشكال الهجمات صغيرة كانت أم كبيرة، ومهما كانت جزئية وفئوية، لكن يجب علينا في نفس الآن أن نمتلك منظورا شاملا وفهما علميا لطبيعة العدو وبرنامجا يجيب عن الحاجات الأنية وعن الهدف النهائي في نفس الوقت.

إن المشاكل الجذرية تتطلب حولا جذرية. فإذا كنا نريد سياسة بديلة عن السياسة التي تنتهجها الحكومة الحالية، بل كل الحكومات الرأسمالية، علينا أن نناضل من أجل إسقاط الطبقة الرأسمالية نفسها. علينا أن نناضل من أجل مصادرة مفااتيح الاقتصاد والسلطة من طرف الطبقة العاملة وبناء الاشتراكية.

رابطة العمل الشيوعي

الثلاثاء: 12 يناير 2016

السياسات ويمارسون نفس الأساليب ويخدمون نفس المصالح: مصالح كبار الرأسماليين.

بضعة سنوات من تجربة الإسلاميين في الحكم ليست بالثمن الباهظ لكي تتوصل الجماهير إلى هذه الخلاصة التاريخية. وها هي فئات واسعة قد توصلت إليها الآن. وفهمت أنهم أعداء لها.

لكن هذه الخلاصة ليست سوى جانب واحد للعملة. أما الجانب الآخر فهو معرفة الطبقة التي تستفيد من السياسات التي يطبقها الإسلاميون و"العلمانيون" وجميع الأحزاب الرسمية الأخرى. فلنكن موضوعيين، إن بنكيران وحزبه وحكومته ليسوا سوى أدوات في يد طبقة اجتماعية محددة لخدمة مصالحها، ويدافعون عن نظام اجتماعي محدد.

ليس بنكيران كشخص ولا حكومته ووزراؤه هم الوحيدين الذين جاء المرسوم لخدمة مصالحهم. إن فصل التكوين عن التوظيف وتخفيض قيمة المنحة وغيرها من الإجراءات التفتيشية التي طبقتها الحكومة الحالية هي إجراءات في خدمة الطبقة الرأسمالية والنظام الرأسمالي.

ليس بنكيران وحكومته هم من يسبرون اليونان ولا اسبانيا ولا تونس ولا مصر، الخ. لكن كل حكومات تلك البلدان وغيرها، على اختلاف أشكالها، "يسارية" ويمينية، تطبق نفس السياسة:

انتخابي ساحق على خصومه، وصل الآن إلى الحضيض. يتضح ذلك جليا في الشعارات التي ترفع خلال الوقفات الاحتجاجية وفي النقاشات الدائرة على مواقع التواصل الاجتماعي ونقاشات المقاهي وحلقات الطلاب وغيرها.

لقد تمكن الإسلاميون طيلة عقود من الزمن من كسب تعاطف فئات واسعة من الجماهير من خلال لعبهم الماكر لدور "المعارضة الجذرية" وتنديدهم المنافق بمظاهر الظلم الاجتماعي ومفاسد الطبقة السائدة.

كان من الصعب فضحهم آنذاك. إذ أن الصراع ضدهم كان غالبا ما يتخذ شكل صراع فكري مجرد، لكن الجماهير لا تتعلم في الكتب ونقاشات الحلقات والندوات الفكرية، بل في الواقع الملموس.

سبق لماركس أن قال إن شرط التجاوز التحقق. وبالفعل كان من الضروري لتجاوز مرحلة الثقة في أكاذيب تلك التيارات، أو بعضها على الأقل، تحقق مشاريعها على أرض الواقع. سنوات قليلة من التجربة كانت كافية لكي تقضهم أمام أعين الجماهير الشعبية، ليس فقط في المغرب، بل وكذلك في مصر وتونس وغيرهما من البلدان.

لقد اتضح طبيعتهم الرجعية وأنهم ليسوا سوى تنويع من تنويعات أحزاب الطبقة الرأسمالية السائدة، وأنهم يطبقون في الحكم نفس

ماذا حدث للثورة بعد مرور خمس سنوات على اندلاعها؟

قبل خمس سنوات، نهضت جماهير شمال أفريقيا والشرق الأوسط، دون أي تنظيم أو برنامج أو خطة أو إعداد، واقتحمت السماء، على حد تعبير ماركس. لقد أسقطت، في غضون أسابيع، أنظمة لم تتحرك شبرا واحدا على مدى عقود من تقديم الانتماسات من طرف المنظمات غير الحكومية وفاعلي الخير الأكاديميين. جهاز الدولة الهائل، الذي يشغل مئات الآلاف من الجواسيس وقوات الشرطة والجيش، وقف عاجزا بدون حراك بينما كانت الجماهير تستولي على الشوارع.

ماذا يفعلون بتلك السلطة، أعادوها إلى الجيش بقيادة عبد الفتاح السيسي. لقد تقدم السيسي كمدافع عن الثورة من أجل خطفها، لكنه في الواقع - مثله تماما مثل محمد مرسي قبله - ممثل عن الطبقة الحاكمة المصرية، وإن كان ممثلا لقسم مختلف منها يسيطر على ما بين 25% و40% من الاقتصاد.

من خلال تسليم السلطة للسيسي، تمكنت الطبقة الحاكمة من فرصة لإعادة تنظيم قواتها. وفي نفس الوقت أعطيت للسيسي شرعية ثورية في أعين الجماهير، وهو ما عززه بشكل مؤقت عن طريق سحق جماعة الإخوان المسلمين المكروهة.

واليوم، بعد سنوات من النضال، هناك عنصر من التعب موجود بين الجماهير والحركة في انحسار. استغل السيسي هذا الوضع في محاولة للقضاء على الثورة. وتحت ستار الحملة ضد الإخوان اعتقل الآلاف من شباب الثورة وبعض المناضلين العماليين.

سوريا

اتضح أن سوريا هي الحلقة الأضعف في الثورة التي شهدتها منطقة شمال أفريقيا والشرق الأوسط. لقد كانت الحركة التي اندلعت في سوريا سابقة لأوانها بمعنى ما. ولولا الدفعة التي تلقته من الحركات الثورية في المنطقة (تونس ومصر...) لكانت ربما لتأخر بضع سنوات. كان نظام الأسد قد بدأ للتو تحركه نحو الرأسمالية بعيدا عن الاقتصاد المخطط المؤم سابقا، وبالتالي فإنه كان ما يزال يمتلك احتياطات معينة من الدعم بين قطاعات من السكان في المناطق الحضرية وبين صفوف الطبقة العاملة. كان الهجوم على مكاسب الماضي ونظام الرعاية والمستوى الثقافي العالي يفضل مجانية التعليم وغيرها، قد بدأ ببطء، لكن السيرورة كانت ما تزال في مراحلها الأولى.

وهذا ما يفسر لماذا لم تجد تلك الشعارات الديمقراطية الغامضة، التي رفعها الشباب الثوري، صدى كافيا لها بين صفوف الطبقة العاملة ككل. والشباب الثوري السوري الذين شهدوا السقوط السريع لمبارك وبن علي، ظنوا أنه يمكنهم تحقيق الأمر ذاته من خلال الاحتجاجات الجماهيرية في الشوارع. وعندما فشل ذلك، وبعد رؤية سقوط القذافي بمساعدة من التدخل العسكري الغربي، ظنوا أن نفس الشيء يمكنه أن يحدث في سوريا. أدى هذا إلى مزيد من عزل الحركة عن العمال، الذين يعرفون تماما طبيعة "الديمقراطية" التي سيغلبها التدخل الغربي. كان عدم مشاركة الطبقة العاملة هو

باعتقال الناشطين وحظر الاحتجاجات، بينما يستعد من ناحية أخرى للانفراج عن الدكتاتور المخلوع حسني مبارك.

وفي الوقت نفسه، فتحت الاحتجاجات الشعبية في سوريا والعراق واليمن وليبيا الطريق أمام حروب أهلية وحشية والتي أدت في الواقع إلى تفكيك تلك الدول إلى فصائل متحاربة.

في هذا السياق يصير من المفهوم سيادة بعض التشاؤم بين صفوف أولئك الذين ينظرون إلى الوضع من بعيد. أما مهمتنا نحن الماركسيين فإنها ليست اليكأ أو اليأس، بل أولا وأخيرا فهم العوامل التي أدت إلى الوضع الحالي.

مصر

في حين كان لعفوية الجماهير نقاط قوتها وكشفت عن قوتها الكامنة الهائلة، فإنه سيكون أيضا من الخطأ تفديسها. لقد كان غياب الإعداد لتلك الانتفاضات هو بالضبط نقطة ضعفها.

يمكن لإسقاط رئيس ديكتاتوري أن يكون بداية للثورة، لكنها إذا توقفت عند ذلك الحد يمكن لكل الطاقة الجماهيرية الهائلة أن تتبدد في النهاية. لقد تعلمت الجماهير المصرية هذا الدرس من خلال التجربة المؤلمة. لقد قاموا بأربع انتفاضات، منذ عام 2011، وأطاحوا بثلاثة رؤساء دولة وأربعة رؤساء حكومة، لكن لم يتغير الكثير في حياتهم اليومية. في 30 يونيو 2013، خرج 14 مليون مصري إلى الشوارع في ما كان ربما أكبر مظاهرة في تاريخ البشرية - على الأقل من الناحية العددية -.

ما الذي يمكن للمرء أن يطلبه أكثر من الجماهير المصرية؟ لقد أظهروا كل الاستعداد للنضال، وكانت السلطة في أيديهم في عدة مناسبات. قال أحد قادة حركة 30 يونيو [2013] للجاردان: «... عقدا لقاء مباشرة بعدما أعطى [الجنرال عبد الفتاح] السيسي مهلة 48 ساعة. كنت قلقا لأنني اعتقدت أنه قد تكون محاولة من الجيش لركوب الموجة، والاستفادة من الوضع، والاستيلاء على السلطة لأنفسهم. لكني اعتقدت أيضا أنه إذا كان هناك انقلاب، فإن السيسي نفسه سيواجه رد فعل عنيف داخل المؤسسة العسكرية نفسها. لقد درست في الكلية العسكرية، والكثير من زملائي السابقين أكدوا لي في الأسابيع الأخيرة أنهم سيدعموننا...» (الجارديان، 6 يوليو 2013).

لو أن الطبقة الحاكمة اختارت استخدام الجيش ضد الثورة، لكانت قد أدت به إلى الانقسام على أساس طبقي. وهكذا كانت ستسقط تحت رحمة الثورة. لكن قادة الحركة الذين لم يعرفوا

يجب أن نذكر كل أولئك الذين يشكون اليوم من "انخفاض مستوى الوعي" عند الجماهير، أن الثورة كانت مدفوعة، في جميع مراحلها، من قبل العمال والشباب والفقراء والمضطهدين، الذين أخذوا مصائرهم بأيديهم، في حين كان كل هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بـ "الخبراء" من السياسيين المحترفين وغيرهم من المشعوذين في حالة من الصدمة والرعب في مواجهة حركة "الغوغاء" هذه.

لكن الوضع في المنطقة، بعد خمس سنوات، صار متناقضا بشكل صارخ مع التفاؤل والأمل وروح النضال التي ميزت الأيام الأولى للثورة. لماذا حدث هذا؟

ما زالت الانتفاضات قائمة

بينما نكتب هذه السطور، تشهد مدينة القصرين في تونس اليوم الخامس من الاحتجاجات، وبعد أن انتحر أحد الشباب العاطلين عن العمل قبل يومين. أصيب حتى الآن أربعة عشر شخصا بجروح، ونزل الجيش إلى الشوارع وتم فرض حظر التجول. وقد انتقلت الاحتجاجات إلى ثلاث بلدات أخرى في جنوب تونس حيث يطالب الشباب بالشغل.

وعلى الرغم من أن الشرارة المباشرة لاندلاع حراك عام 2011 في تونس كانت هي إقدام محمد البوعزيزي على إحراق نفسه، فإن الأسباب الحقيقية وراء الثورة الكاسحة كانت هي تراكم سنوات من الظلم والإذلال والقمع والفقير. وعلى النقيض من الثروات الهائلة التي يمتلكها الحكام الدكتاتوريون، كان 40% من المواطنين في شمال أفريقيا والشرق الأوسط يعيشون على أقل من دولارين يوميا وكان معدل البطالة بين الشباب يبلغ حوالي 40%، بينما يصل في بعض المناطق إلى 80%.

والآن وبعد خمس سنوات على الإطاحة بنظام زين العابدين بن علي، في تونس، لم يتم حل أي مشكل. فالبطالة عوض أن تنخفض ارتفعت من 12% إلى حتى 15,3% (بالأرقام الرسمية!) وفي القصرين ما تزال فوق 30%. وعلى الرغم من تأمين بعض الحقوق الديمقراطية، فإن ذلك ليس بالشيء الكثير بالنسبة لشعب يناضل من أجل البقاء. وكما قال أحد المحتجين لوكالة أسوشيايتد بريس الأسبوع الماضي: «الحرية جميلة، لكنني لا أستطيع أن أطمع أسرتي بها».

الوضع مماثل في مصر حيث نسبة البطالة 12,7%، أي فوق مستويات 2011. هنا يستعد نظام السيسي للاحتفال بالذكرى السنوية للثورة

مقتطفات من البرنامج الانتقالي

طوال عقود وعقود الجماهير الكادحة - المغربية والصحراوية- تناضل بشراسة النمر ضد الدكتاتورية والاستغلال والقهر القومي. لكن المأساة هي أن كل تلك النضالات البطولية والتضحيات تذهب هباء وتبقى بدون أفق بسبب غياب برنامج ثوري يكتف مطامح وآمال الجماهير في نقاط واضحة تعبر عن أشد مطالبها إلحاحا وتوسع أفقها باستمرار. برنامج انتقالي يشكل الجسر بين النضالات الأنية وبين النضال من أجل التغيير الاشتراكي للمجتمع.

في هذا السياق ننشر مقتطفات من برنامجنا الانتقالي على صفحات الجريدة، بحيث يتضمن كل عدد موضوع معين، وللراغبين في الإطلاع على البرنامج الانتقالي كاملا يمكنه اقتناء العدد 11 من جريدتنا "الشيوعي" (يناير 2014) من المناضل الذي يوزع الجريدة، أو الإطلاع عليه على موقع ماركسي.

نطرح هذا البرنامج للطبقة العاملة المغربية والشعب الصحراوي وعموم الكادحين والمناضلين العماليين والشباب الثوري الباحثين عن بديل ماركسي اشتراكي ثوري، بحيث يتناول مواضيع: الأجور، البطالة، النقابات، النساء، الأسرة، السياسة الزراعية، الخصوصية، الصحة، التعليم، السكن، الديون، الضرائب، السياسة الخارجية، الجيش والشرطة، حقوق الشعب الصحراوي، جهاز الدولة.

التعليم:

يعتبر حفل التعليم في المغرب من بين أبرز الحقول التي تظهر فيها طفيلية الطبقة السائدة وخطورتها على المجتمع بأكثر الصور وضوحا. إذ جعلت من المدرسة والتعليم الموجه لعموم أبناء الشعب وسيلة لنشر الأمية والجهل والتعصب بشكل منهجي وواع.

- إننا نناضل من أجل مدرسة بديلة وتعليم علمي، علماني، عمومي، مجاني، موحد وذو جودة.
- إننا نناضل من أجل الرفع من الميزانية المخصصة للتعليم إلى ما لا يقل عن 20% من الناتج الداخلي الخام.
- تطبيق مخطط عاجل للأشغال العمومية من أجل توفير بنية تحتية كافية من المدارس والمعاهد، في جميع المدن والقرى
- والمداشر، ووضعها تحت الرقابة الديمقراطية لمجالس العمال والفلاحين والطلبة والشباب.
- الاعتراف بالغة الأمازيغية كلغة رسمية، إلى جانب العربية، والحق في التعلم باللغة الأصلية في جميع مناطق البلاد.
- تعميم دراسة اللغة الأمازيغية والثقافة الديمقراطية الأمازيغية على كل أسلاك التعليم وكل المناطق، وفتح مسالك جامعية لدراسة وتأهيل وتطوير اللغة الأمازيغية. وإدماج التكوين في اللغة الأمازيغية في مراكز تكوين الأساتذة.
- تشجيع البحث العلمي في جميع المجالات و تخصيص ميزانية كافية لتطويره تحت الرقابة الديمقراطية للعمال والعلماء والباحثين
- ضرورة تحديث المدارس والجامعات الحالية وتجهيزها وبناء مدارس وجامعات ومعاهد جديدة، من جميع التخصصات، بما يكفي للاستجابة لحاجيات البلاد، مفتوحة في وجه أبناء وبنات العمال والمضطهدين، بدون عراقيل من أي نوع.
- توفير العدد الكافي من الأساتذة والموظفين والعمال، بمناصب شغل قارة وحقوق كاملة.
- منحة شهرية لجميع الطلاب - أبناء العمال والفلاحين والكادحين- تساوي الحد الأدنى للأجور.
- توفير مجانية الخدمات الصحية والمطاعم والنقل الجامعي ذو الجودة، لصالح التلاميذ والطلبة، أبناء الفقراء.
- الوقف النهائي لمسلسل خصوصية التعليم وإعادة تأميم جميع المعاهد الخاصة وإدماجها في القطاع العام.
- تطوير البرامج الدراسية من جميع المضامين الرجعية، العنصرية، اللاعلمية والمعادية للتقدم.
- رفع الحظر عن الإتحاد الوطني لطلبة المغرب والاعتراف به كممثل شرعي لكل الطلاب المغاربة، في الداخل والخارج.
- وضع الجامعة تحت رقابة ممثلي الطلاب - اوطم- والأساتذة والعمال الجامعيين، المنتخبين ديموقراطيا، والنقابات العمالية، في مجلس جامعي بكامل السلطات (الرقابة على الميزانية، على البرامج الدراسية، على الامتحانات وعلى كل الحياة الجامعية).
- نناضل من أجل أن تصير وزارة التعليم منتخبة ديموقراطيا من بين الأساتذة والطلاب والتلاميذ ومجالس العمال والنقابات، في إطار حكومة العمال والفلاحين.

الفرق الرئيسي بينها وبين الثورات في تونس ومصر، وأيضا السبب الرئيسي في اختلاف نتائجها.

بعد أن تعثرت الحركة على الجبهة السياسية تحولت في اتجاه "الكفاح المسلح"، لكن في الثورة إذا كان ذلك الكفاح غير مرتبط بالطبقة العاملة المنظمة فإنه يمكن أن يتحول إلى تكتيك خطير. في خضم المواجهة العسكرية، التي تكون دون دعم كامل من الطبقة العاملة في المدن، تصير الثورة الطرف الأضعف دائما. وبعد أن سارت في هذا الطريق، أصبحت الحركة ضعيفة ووقعت تحت سيطرة القوى الامبريالية الخارجية.

وجدت وكالة المخابرات الأمريكية، إلى جانب الدول الغربية والشرق أوسطية الأخرى، فرصة للتدخل وضخت مليارات الدولارات من أجل تقوية الجماعات الرجعية، التي تماشت مصالحها مع مصالح الامبرياليين. أدى الانحطاط الإرهابي للحركة بدوره إلى تعزيز موقف الأسد بين صفوف المواطنين العلمانيين في أغلبهم. وكانت القضية الوحيدة التي اتفق الأسد والولايات المتحدة وحلفائها حولها هي ضرورة القضاء على العناصر الثورية.

وكما كان متوقعا أدت الهزيمة الدامية في سوريا (وليبيا التي شهدت سيرورة مشابهة) وحمام الدم المتزايد، إلى ضرب العديد من الحركات في المنطقة. وبدأ العديد من الناس في الاستنتاج بأن "الثورة" لا تنتج سوى الفوضى والهمجية.

مسألة القيادة

الواقع هو أن الثورة في مصر وتونس توقفت في منتصف الطريق. سمح هذا للقوى الرجعية بعرقلة الحركة والانتقال نحو الثورة المضادة. وهذا يعني في مصر بقاء جهاز الدولة سليما واستمرار الاقتصاد في أيدي نفس الطبقة الحاكمة القديمة. في سوريا اقتضت المعارضة على الدعوة من أجل الحقوق الديمقراطية، لكنها في المسائل الاقتصادية والاجتماعية ساندت الخصخصة والاقطاعات في ميزانية الرعاية الاجتماعية. لديها نفس برنامج الأسد، سوى أنها تريد السير أسرع منه في تطبيقه!

وفي كلتا الحالتين اعتقد قادة الحركة أن "الاعتدال" هو أفضل وسيلة لبناء حركة أوسع. لكن ما حققوه كان هو السماح لقوى الثورة المضادة بهامش للمناورة، مع ما ترتب عن ذلك من عواقب مأساوية. وقد ظهرت حالة مماثلة في جميع أنحاء المنطقة. وبالتالي فإن الحركة الآن في انحسار، لكن لم يتم حل أي من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي كانت وراء اندلاع تلك الاضطرابات الثورية.

دكتاتورية السيسي في مصر ضعيفة للغاية، ولا يتمكن من الاستمرار سوى لأن الجماهير متعبة ومشوشة بعد سنوات من النضال، لكن الثورة المصرية لم تهزم في صراع مفتوح. إن الجماهير تتذكر كيف أسقطت أربع حكومات في ثلاث سنوات. وقد عملت في الواقع، وكاستيق لما هو أت في المستقبل، على إسقاط حكومة السيسي الأولى في ربيع عام 2014. وعاجلا أو أجلا سوف تنهض هذه القوة مرة أخرى.

وطالما استمرت الثورة في التراجع، طالما ساد الوجه القبيح للردة الرجعية على الساحة. لكن تحت سطح الهدوء الظاهري ما تزال نفس التناقضات التي أدت إلى الثورة في العمل. لقد دفعت الثورة بعيدا جدا إلى الوراء في بلدان مثل سوريا وليبيا، لكن في مصر وتركيا وإيران، حيث الطبقة العاملة قوية، قد بدأت حركات جديدة في الاستعداد للنهوض بالفعل. إن مفتاح الوضع هو البدء في بناء القيادة التي يمكنها أن تتدخل في هذه الحركات، حتى لا ترتكب نفس الأخطاء كما في الماضي.

على الرغم من كل شيء لم تحل الرأسمالية أيا من المشاكل التي تواجه الجماهير في شمال أفريقيا والشرق الأوسط، بل في الواقع لقد ساءت الأمور أكثر. سيتم حتما إحياء النضال ضد الظلم والفقر والهمجية، لكن ذلك النضال لن ينتصر إلا عن طريق الإطاحة بهذا النظام الرأسمالي المتعفن الذي هو السبب الجذري لجميع المشاكل.